ALFATHI
الفاتح
لما أغلق
مجلة علمية دينية دورية
تصدرها هيئة البحوث العلمية بمعهد
الشيخ الحاج مالك للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية
العدد 07، نوفمبر 2019

من هو الشيخ الحاج مالك سي؟ «رضي الله تعالى عنه»

المؤاخاة في الله أصفى من الزلال.

الإستراتيجية الفاعلة للشيخ الحاج مالك سي في التربية والإصلاح

الشيخ الخطاط:صمب جاني :

جهود في سجل التاريخ

الفاتح

مجلة علمية دينية
يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواوون .
السنة الخامسة ـ العدد 07
مولد عام 2019

تأسيس
{الشيخ عبد العزيز سي الأمين}

المشرف العام:
الشيخ أبوبكر سي محمد المنصور
الخليفة العام للطائفة التجانية

رئيس التحرير:
خليفة لو
khalifalo1@live.com

مدير التحرير:
الحاج مالك فال

سكرتير التحرير:
محمدفاي
papemouhamed05@outlook.fr

هيئة التحرير:
مام ألفا سي - الدكتور بشير انغوم ـ أستاذ عبد العزيز باه ـ أستاذ امبي درامي ـ بابا مختار كيبي -سيدي أحمد سي عبد العزيز سي - مصطفى سي الحاج مالك مود -الشيخ التجاني سي مود- السيد مور نيانغ - ألفا سين - أ. مور نيانغ - أ. حسين فال - أ. منير انغران -إبراهيم انياس امبوج.

المخرج الفني:
أبو سيراندو
776543837

المراسلات:
أو khalifalo129@gmail.com
B . P : 8 TIVAOUANE
TEL: (+221)339552655 /(+221)339552020
(+221)775767594/(+221)772753399

المقر الرئيسي:
معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية، حي «بام» شمال المدرسة الثانوية الحكومية في تواوون.

افتتاحية

بقلم مدير التحرير

نستهل ـ قراءنا الكرام ـ العدد السابع من مجلتكم «الفاتح»بتجديد الاعتدار الذي قدمناه عند صدورالعدد السادس، بمناسبةالأيام الثقافية للدوائر التجانية في شهر ديسمبر الماضي 2019، وها قد عادت مجلتكم، تواكب في صدورها مناسبة المولد النبوي الشريف كعادتها، فلله الحمد والمنة، ولكم جزيل الشكر والثناء على وفاءكم وإخلاصكم للمجلة.

إن هيئة التحرير في المجلة تأخذ بعين الاعتبار والدراسة كل الاقتراحات والملاحظات، والانتقادات البناءة، والتي ما دأبتم منذ صدور العدد الأول منها، على إبداءها وتقديمها بغية تطوير أداءها، وسعيا إلى الارتقاء بمستوى المجلة شكلا ومضمونا، ونحن لكم شاكرون على هذه اللفتات الكريمة من جانبكم، ونعاهدكم بأن نبقى دوما عند حسن ظنكم بنا، سنعمل قدر المستطاع للوصول معكم إلى المستوى الراقي المأمول لهذه المجلة.

ستطالعون ـ بإذن الله ـ في هذا العدد، موضوعات جديدة، اخترناها لكم من بين العديد من الموضوعات التي وصلت إلى هيئة التحرير، من بينها: موضوعان يعيدان التذكير والتعريف بعالم تواوون، ومخلد اسمها الشيخ الحاج مالك سي بن عثمان «عليه رضوان الله العلي»، وبمنهجيته في الدعوة ونشر التعاليم الإسلامية السمحة، وموضوعا آخر، يتحدث عن المدرسة الفكرية لتواوون، وعن الاسهامات الإيجابية لهذه المدرسة على الصعيد الوطني من حيث تخريج أعداد غفيرة من العلماء والجهابذة في شتى الميادين، والذين نشروا العلم في ربوع السنغال المترامية الأطراف، ومن حيث الإنتاج العلمي الذي أضافه مؤلفو هذه المدرسة وكتابها، وشعراءها للمكتبة العلمية الإسلامية السنغالية.

ولعل ذلك، سيكون قطرة من فيض ما نعده من مادة علمية دسمة وقيمة للتعريف بشكل عام برواد المدرسة التواوونية في السنغال، وبإسهامهم الفكري في النهوض بالتعليم في السنغال.

وسيكتشف القراء مواضيع أخرى، بأقلام كتاب شابة، رأت إدارة المجلة أن تفتح لهم صدرها، وأن ترحب بإنتاجاتهم الفكرية، على أن يجد القراء الكرام متعة وفائدة كبيرة في القراءة لهم، وبذا تكون المجلة قد شرعت في سياسة تشجيع الأقلام الشابة، ويا مرحى!

إن الشخصية الرمزية الحديثة لتواوون في مجال إحياء ليلة المولد النبوي الشريف، هو بلا شك الشيخ عبد العزيز الأمين، والذي اضطلع لما يقرب من ستين عاما في إدارة وتنظيم الحفلة السنوية للمولد في هذه المدينة العريقة، ولقد كان المرحوم المؤسس الفعلي لهذه المجلة، والمشجع الأول لفريق تحريرها، فلا غرو ـ إذا ـ في هذا العدد أن تنشر فيه قصيدة من أحد شعراء تواوون المرموقين، تخليدا وتذكيرا، وتأبيدا لعمله، واعترافا منا بجميله علينا وعلى أهل تواوون قاطبة.

وقد فسح المجال أيضا، لمحاولات شعرية ناضجة من شعراء شباب من المدرسة التواوونية، قيلت هذه القصائد في مناسبات اجتماعية خاصة، وبعضها تتناول موضوعا يخص الواقع الاجتماعي المر للسنغال حاليا، وفي ذلك تقدير وتثمين لهذه الكتابات، ودعوة لأصحابها إلى المضي قدما في درب الإنتاج والنظم.

وقبل أن نختم، ستلاحظ أيها القارئ الكريم، أن التنوع في الموضوعات والمقالات، كما كان مألوفا في الأعداد السابقة للمجلة ليست السمة الرئيسية في هذه المجلة، ولعل السبب يعود إلى ضغط الوقت علينا للتسريع في إرسال التصميم الحالي إلى المكتبة، وهو ما لا يسمح لنا بأخذ وقت كاف لمراجعة وإعادة اختيار بعض الموضوعات التي وصلنا متأخرا، ولكن نأمل الاحتفاظ بها لحين القيام بإخراج العدد القادم بإذن الله.

دمتم في رعاية الله، وكل عام وأنتم في رعاية الله وحفظه

هيئة التحرير

من هو الشيخ الحاج مالك سي؟ «رضي الله تعالى عنه»

المقدمة:

لقد شرفني الله سبحانه وتعالى إذ كنت من الذين اطمئن بال أعضاء جمعية الفاتح بهم أن يكتبوا في مجلتهم القيمة، فلهم مني كل التقدير والاعتزاز.

بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله نور السماوات والأرض الحق المبين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن قطب المكتوم والبرزخ المعلوم سيدنا أحمد التجاني، وعن وارث سره الإمام الأعظم ، الفقيه الصوفي سيدنا الشيخ الحاج مالك سه ابن عثمان الذي يعود إليه الفضل في نقلنا من دين العادة وعبادتها إلى جوهر الإسلام، من عالم الشعوذة والطقوس إلى استخدام العقل والمنطق، من الجهل المنظم إلى المعرفة الشاملة الحقيقة، من خوف الوهم والخرافة إلى الثقة بالقدر والنفس، من الأمراض النفسية إلى سلامة النفوس والأرواح، من التعب المتواصل إلى الرفاهية الدائمة والطمأنينة الخالدة، من القلق الذهني إلى السكينة واستقرار البال. ورضى الله أيضا ونصرته وتأييده على خليفته الحالي الشيخ السيد أبي بكر سه منصور، وعلى جميع أولاد وأحفاد جده مؤسس الزاوية المالكية وخلفائه ومقدميه وأتباعه.

وبعد،

تبدو في أفق الحياة الإنسانية بطولات فريدة من نوعها، لا تصنعها الأحداث، بل يصنعها الإيمان في هؤلاء الذين يصطفيهم الله لحمل رسالته الخالدة، وفي أتباعهم الذين تصهرهم عقيدة الإيمان بالله.

فتاريخ بلادنا سنغال زاخر بمئات من الأبطال، منهم من سجل التاريخ أسماءهم وأشاد بهم، ومنهم من لا يعلمهم إلا الله، لقد كانوا أمثالا عالية في التضحية والإقدام، يعملون في سبيل دينهم من غير أن يشعر الناس، ومنهم من مر التاريخ على أسمائهم دون أن يقف طويلا، وإن كانوا لا يقلون عملا وتضحية وشجاعة عمن سواهم، وحسبهم أنهم أفضوا إلى ربهم مرضيين

وعلى قمة جميع هؤلاء وأولئك، الذين عاشوا تحت لواء السنة وغاصوا بحر الدم حتى خرجوا منه دون لطخة الشيخ السيد الحاج مالك سه رضي الله عنه.

وهذه البطولة التي يصنعها الإيمان في رجال العقيدة لا تستمد قوتها من السلاح والعدة، إنما تستمدها من الحق الذي تدين به والثقة الكاملة في تأييد الله ونصره:» إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد». وهي بطولة عادلة مهتدية، لا تنتصر لنفسها، لا تغتر بقوتها، ولكنها تنتصر لعقيدتها، وتجعل الفضل لله فيما يجريه على أيديها من نصر وإعانة.

وفي سيرة الشيخ السيد الحاج مالك سه رضي الله عنه نماذج حية رائعة من تلك البطولة في اقتداء بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد كان مجدا ورعا صادقا عفيفا زهيدا حائزا قصب السباق، عالما متبحرا في العلوم الدينية الشرعية على نمط فريد، عارفا بعيوب النفس وأحوالها، مشخصا جميع أدوائها حتى يستقر في قلبه ونفسه ما يليق بها من الحلول الإسلامية الناجعة، منقطعة النظر. وكان من أكابر الأولياء الذين بنوا عقولا سليمة قادرة على استيعاب قضايا الإسلام ومتطلباته المتجددة، ومتضلعا بمستوى المسؤولية والحرية الدينية والوطنية.

كان وارثا حقيقيا لهدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله وهمته العالية الصادقة في هداية الخلق: « هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين «. وبفضل هذه النعمة احتل الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه تلك المكانة العلية وذالك الدور الرفيع، بين كبار المجددين المصلحين يبعثهم الله لهذه الأمة رأس كل مائة سنة لتجديد معالم دينها، كما ثبت في حديث رواه أبو داود عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها «.

وقد تناولت حياة الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه بالترجمة جماعة من العلماء الذين عاصروه أو عاشوا بعده، وأتم هذه التراجم وأكملها وأوفاها هي ترجمة الشيخ الحاج عبد العزيز سي رضي الله عنه، الذي استوفى فيها جملة من سيرته، وجلّى كثيرا من جوانب حياته، حتى ظلت هذه الترجمة مصدرا أساسا وثيقا لكل من يريد البحث عن الشيخ والتعريف به رضي الله عنه.

كما أن كتب حوادث البلاد، ومقالات أصحاب الجرائد، وحكايات المؤرخين التقليديين ـ وخاصة التي تناولت تاريخه لم تغفل عن الإشارة إلى ولادته ونشأته وحياته ووفاته ضمن سردها لأهم وقائع السنين والشهور.

عصر الشيخ:

لا شك أن هناك تأثيرا متبادلا بين المرء وعصره، بين المرء وبيئته، لاسيما لدى أولئك الأعلام والعظماء الذين تسنموا مكانة بارزة في مجتمعاتهم، كالمجاهدين والمصلحين وأمثالهم؛ لذلك من المفيد أن نلقي الضوء على العصر الذي عاش فيه الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه؛ لندرك مدى تأثير ذلك في جوانب حياته المختلفة؛ لأن للظروف القاسية التي مرت بها البلاد تأثيرا مباشرا في اتخاذه استراتيجية جديدة ناجعة صالحة للجميع.

أولا: الحالة السياسية:

عاش الشيخ رضي الله عنه في ظل حكم السلطات الاستعمارية الفرنسية الذين اعتقدوا أن حكم البلاد حق لهم، وذلك لما تحملوه من أعباء الدفاع عنها ضد الأخطار الخارجية، وكان من أهم ما تميز به حكم المستعمرين: كثرة الفتن، والقتل، والمؤامرة على المشايخ والعلماء المجاهدين؛ بسبب صراعهم ضدهم، ورفضهم الانقياد لنظامهم، فظلوا في حالة شديدة خطيرة.

فقد كانت المشايخ يعانون من ظلم السلطات الاستعمارية وسوء معاملتهم إياهم، ومع ذلك فإنهم لم يستسلموا أبدا بسبب هذه المضايقات، ولاسيما الزعماء والعظماء التجانيين منهم.

ثانيا: الحالة الاجتماعية:

لم تكن الحالة الاجتماعية بأحسن من الحالة السياسية في عصر الشيخ رضي الله عنه، فقد ساد النظام الطبقي الذي توزع عليه أفراد الشعب، وقد تربّع على قمة هذا النظام المستعمرون والملوك الذين كانوا يمارسون سياسة قبيحة، وأجبروا المجتمع على الخضوع لها، فكانوا ينعمون بكل المزايا والحقوق والنفوذ والوظائف دون باقي طبقات الشعب، الذي يعاني تباريح الحياة وكثيرا من الحرمان وضياع الحقوق.

وسهّل ذالك انتشار الفقر، والأمراض والأوبئة، وضعف الأمن، وعمت الفوضى، وزاد طغيان الملوك وظلمهم لعامة الناس، وسلب أموالهم ومواشيهم، وفرضت الضرائب الباهظة عليهم.

ثالثا: الحالة الدينية:

بالرغم من الصورة الحالكة سياسيا واجتماعيا لعصر الشيخ رضي الله عنه، إلا أنه برزت بعض الصور المشرقة في الجانب الديني، إذ ظهرت في جميع إنحاء البلاد مجالس وكتّاب، وتطورت في كل صقع من أصقاعها، وإن كان ذلك مقتصرا على الشكل دون مضمون وتطبيق حقيقيين، لأن هؤلاء العلماء كانوا يدرِّسون ولا يربون ولا يهتمون بالتطبيق.

ما نتيجة هذه الممارسة؟

من نتائج هذه الممارسة ظهور أناس لا يعرفون من الدين إلا ما أملته العادة عليهم، ولا من العلم

إلا تقليد من يعتقدون فيهم، وإن كانت بضاعته فيه لا يسمن ولا يغني من جوع، ومع ذلك لم يسلم العلماء والشيوخ من أمثال الشيخ في عصره من أذى المستعمرين ومؤامراتهم في ذلك الوقت، فكثيرا ما يتغير خاطرهم، فيعزلون من أرادوا من منصبه أو ينفوه.

مما تقدم يتبين لنا طرف من الاضطراب والفتن والقلاقل، وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي، وانعدام روح الدين الإسلامي الذي كان يُؤكل في صحنة العادة على طاولة التقليد.

التعريف بالشيخ الحاج مالك سي ﷺ:

اسمه ونسبه:

أ- من جهة أبيه:

فهو الشيخ السيد الحاج مالك سي بن عثمان الصيني بن معاذ بن محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن دَرَمان بن سِيرَ بن بُوبَ بن مالك مؤسس سِيُومَا، وهو بن أحمد بن داود بن بُوبَكر بن الشريف شمس الدين.

ب - من جهة أمه:

وأمه هي السيدة فاطمة ود ولي بنت بُتِهْ فَايْ بنت عبد الرحمان فاي وفاطمة الأنصارية، فالشيخ الحاج مالك سي أنصاري من جهة أمه.

وكانت أمه رضي الله عنها كالنجم في السماء في الصلاح والأدب والخلق والبهاء، وقد أحسن والداها تربيتها، فكانت مثلا وقدوة لغيرها من بنات زمانها.

مولده ونشأته:

قد اتفقت جميع التراجم المشهورة على أن الشيخ الحاج مالك سي ولد في قرية كايَهْ، موطن أمه العزيزة العفيفة، قرب مقاطعة دَكانَهْ، إلا أن تاريخ ولادته ظل مشكوكا فيه. فمن التواريخ التي أدلت بها الشهادات، مكتوبة كانت أو مطروقة، ما تقول إن الشيخ ولد عام 1842م، 1852م، 1853م، 1854م، 1855م، 1857م.

وبعد ميلاده نشأ الشيخ ﷺ نشأة علمية؛ لأن أسرته لم تزل مهتمة ومتشبعة بالعلوم والمعرفة والخلق الحسن، ومتابعة لنشر الدين وقيمه ومبادئه، ويؤيد ذلك ما في كتاب «زاد المشمر لدخول حضرة الملك المقتدر» للشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ t، حين قال بعد سرده لأجداده:

فهؤلا أبناء شمس الدين

تَتابعوا كلًّا لنشر الدين

درج أي: نشأ وترعرع الشيخ t في بيت من بيوت العلم، وتربى في حجر أمه، السيدة فاطمة ود ولي، التي كانت من أكمل النساء عقلا، وأرفعهن فضلا، وأشدهن حزما وعزما، لما فيها من حب الخير، وتعلقها ببيوت الله، والعناية بأمور الطلبة، وأولياء الله.

وقد أتاحته الصلات الوشيجة بأمه البارة وخاله الشيخ الجليل الفاهم يُرُو ولي وسميه السيد المفضال حافظ القرآن ومعلمه جرْنُ مالك سُو، أن يهتدي بهم، وأثّر ذلك في تكوينه الشخصي والوجداني

ظل الطفل يتقلب في هذه الأجواء العبقة بطيب الأنوار القرآنية، المتألقة بسناها، ينهل من تلك الموارد الصفية العذبة، ويتتلمذ على أيديهم السليمة النقية.

طلبه العلم وشيوخه ورحلاته:

نشأ الشيخ t نشأة علمية كما سبقت الإشارة إليها. ويتضح من هذه النشأة العلمية أن البيئة تهيت لاستقباله استقبالا ليكون حاملا لواء الإصلاح الديني الاجتماعي التعليمي التربوي لعصره وللأجيال الآتية.

وتلقى الشيخ درسه الأول من كتاب الله العزيز من تلقاء خاله، ثم سميه، ودرس على خاله مدة من الزمن، حفظ من خلالها الجزء الأول من القرآن الكريم، ثم سافر إلى قرية والده صِينْ جُلُوف، بطلب من عمه الشيخ أحمد سي؛ للتعارف مع إخوانه، ومتابعة دراسته حتى حفظ القرآن الكريم.

ولما مكث عند عمه أحمد سي ما شاء الله أن يمكث، أمره عمه بالجولان في أصقاع البلاد لطلب العلم، ودعا له بالصلاح والنجاح، فرجع الشيخ t إلى كايَهْ، فبدأ دراسة المختصر الأخضري على يد خاله، وفي نفس اليوم وفي جلسة واحدة وآن واحد لقنه الورد التجاني وأجازه في الطريقة التجانية إجازة عامة مطلقة شاملة، مع تبليغ وصايا المجاهد الشيخ الحاج عمر تال الفوتي.

ثم توجه الشيخ t إلى العلماء الراسخين لتحصيل العلوم الإسلامية والأدبية، تطبيقا لأوامر ونصائح عمه،

وتتلمذ على جماعة من مشاهير علماء عصره في كل فن، فمن الذين أخذ عنهم:

- عبد بِتِيْ، أحمد صار (جارين)، محمد تُوبْ/

القراءات رسما وتجويدا وتطبيقا.

- الشيخ مَكَيْ حَوَى (كد دمب) / المختصر للأخضري.

- الشيخ مُورْ جُوبْ (كر كد ألسان) / الرسالة.

- الشيخ كَلَ سَيْ (طيب سي) / النحو والتفسير.

- الشيخ إبراهيم جَخَت (جبالي) / الخليل.

- الشيخ مَايُرُ فال (كيك) / لم يعين الفن الذي تلقاه الشيخ عنه.

- الشيخ مَسِلَّ مَانِي (جلدرمان) / ألفية ابن مالك

- الشيخ أحمد جاي مَابِيْ (سين لويس) / المقامات والشعراء الستة.

- تفسير يورُ بَالْ (سين لويس) / الاحمرار.

آثار عمله في أوساط المجتمع:

وبعد هذا الجولان في ربوع العلم والعلماء، وحصل ما أراده الله له من العلوم والمعارف، رجع الشيخ ﷺ إلى قريته كايَه، ومكث فيها مدة، فصادف أن أتى الشيخ محمد العلي العلوي إلى كايَه؛ لزيارة خاله الفاهم يُرُو، ولما تراءيا نشأت المحبة في قلب كل واحد منهما.

ولما رجع الشيخ العلوي إلى مسقط رأسه، اشتاق الشيخ إلى زيارته، فسافر إلى موريتانيا مشتغلا بعلوم أسرار الطريقة التجانية، ولم يُدْرَكم استغرقت زيارته لهؤلاء العلماء العظماء، بل أخذ عنهم تلقينات مع إجازات كثيرة تبركا لأنه كان واثقا بصحة إجازة خاله الفاهم يُرُو ولي.

وبعد رجوعه من موريتانيا، أقام مدة في سِينْ لِويسْ، قدر الله له خلالها عقدا قرانيا أولا بحريته: السيدة رقية انجاي في سنة 1879م، فأنجبت له الشيخ سيدي أحمد سي1881م والسيد أبي بكر سي 1885م وأخواتهما،[1] ثم طرأ في عقله فعل شيء لأجل لقمة عيشه هو وخليلته؛ لأنه لم يكن يريد أن يعيش كلا على أحد، فكان يُدرِّس في العاصمة في فصل الخريف، ويزرع في القرى في فصل الصيف.

وقضى سنوات بين التدريس والزراعة، حتى رزقه الله صاحبة ثانية، وهي السيدة صفية انجك في سنة 1887م، والدة الشيخ محمد المنصور سي 1900م والشيخ الحاج عبد العزيز سي 1904م، والشيخ محمد الحبيب سي وأخواتهم[2]، ثم حقق الله له أمنية غالية تعلق بها قلبه، وهي السفر إلى زيارة بيت الله الحرام 1888 ـ 1889م.

وبعد أدائه لفريضة الحج، توجّه إلى المدينة المنورة لزيارة سيدنا محمد r، واستنشاق نسيم جوّها، وشم رائحة روضته الجميلة، التي تضيء غياهب القلوب، وتتلألأ وتتزيّن بها الأرواح.

وبعد زيارته، كان يحب مجاورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن ناصحه عالم من علماء المدينة نصيحة ما بعدها إلا الرجوع، ولذلك رجع مع تاج « الحاج «، مطمئن القلب والروح، بعد أن دعا الله U أن:

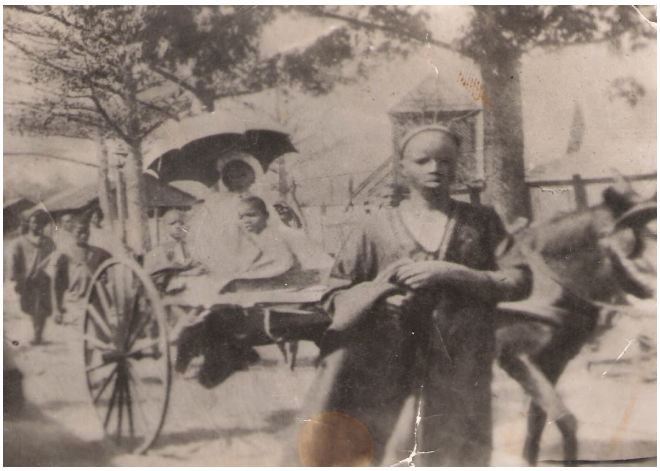

- يرزقه مالا يبني به مساجد وزوايا.

- يمنحه أراضي فسيحة يعتمد عليها للزراعة.

- يحفظ الله له مزاياه من المقامات إلى يوم القيامة فيصبها في ميزان حسناته.

- يكون أولاده وأتباعه إخوانا في الله.

- يحمي الدين وعلماءه من الرجال المستعمرين الفرنسيين.

وبعد رجوعه من حجه وقبل أن يسارع إلى تأسيس أي مشروع لخلق إستراتيجيّة جديدة ثقافية دينية سلمية ضد حرب مسلحة، إستراتيجية تستغرق جميع جوانب الحياة الإنسانية، ذهب الشيخ أوّلا إلى جُلُوف لزيارة أخواله وأعمامه.

ثم عزم على متابعة رحلته، فغادر الأهل مرة أخرى ونزل في «وَقِ» عند صديقه بَلَّ جَايْ، لكن

١) السيدة فاطمة سي بنت السيدة رقية انجاي وهي الولد الكبير للشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه. قد ولدت سنة ١٨٨١ في سين لويس.

٢)السيدة فاط سي التي حملت اسم والدة السيخ وهي الولد الكبير للسيدة صفية انجغ, قد ولدت سنة 1888 في قرية كاي، بعد والدها الذي كان يؤدي فرائضه في مكة المكرمة.

الموجودِ من التقديمات لم يوافق مراده، فارتحل وحل «كَرْبَاسِنْ»، فطلب مزرعا وأعطي، ثم ترك فيه محمد امِنَ سي، ثم انصرف إلى العاصمة «سِينْ لِويسْ»، حيث تعلم فيها عادات المدينة، وعانى تَبَاريح الحياة المدنية وحقائقها.

وفي تلك الإقامة الممتدة من 1890م إلى 1895م، أخذ الشيخ الحاج مالك سي يحل مشاكل الناس، ويأمرهم بالعودة إلى السنة المطهرة.

ولا شك أن المفروض على الدعاة إلى الله تعالى أن يكونوا من أطوع الناس لله تعالى، وأسرعهم مبادرة إلى تطبيق أحكامه، وأن حلّ أمور الدين ينبغي الوقوف فيها عند الشرع والسنة، والإسلام دين لا يعرف الرهبانية ولا الكهنوتية، بل الاعتصام بحبله من سماته.

وهذا ما فعله الشيخ ﷺ، فكان يدرّس ويدعو الناس إلى ما يقربهم من مولاهم U، ويصلي الصلوات الخمس لدى الجماعة في المساجد، ويقرأ معهم الوظيفة فيها، ويفصل فيما شجر بينهم من خلاف، ويعلمهم ما يجب لهم من حقوق وما لا يجب، وما يمسح ما في نفوسهم من الجهل، فكان الناس إذا رأوه في مداولاته مع الإخوان، وهم غارقون في غفلتهم ينتبهون وينتهون.

نعم، وقد أدناه من قلوب سكان العاصمة أرجحية رأيه، وصدق لهجته، وإخلاص نيته وقوله وفعله، فكان كلما شرع في درس، أو دخل مسجدا أو فتح مجلسا، كان الناس متجهين بأبصارهم إلى مكان جلوسه، منتبهين إلى كل ما يلفظ من قول، كأن على رؤوسهم طيورا، وكانت دقة فهمه لأسرار الدين، وصحة نظريته إلى ما يحل وما لا يحل، تدفعه أحيانا إلى بعض الموافق التي تبدو غريبة لعيون الناس، وكلما ختم درسه ونهض من مجلسه، هب الناس متجهين نحوه، وتزاحموا حوله، وأحاطوا به، واندفعوا وراءه، يشيعونه.

هكذا يومه في العاصمة، ما مر يوم من أيام الله بل شهر أو عام إلا جاء قوم كثيرة يجيبون دعوته، هكذا أخذ الشيخ ينقض رفاهية عادات وتقاليد هؤلاء الناس من أسسها، إلا أن ذلك يلقي حقدا وحسدا بل فتنة في قلوب البعض، كأن ما جاء به الشيخ دين جديد، نزل من السماء على سطح الأرض، فتآمروا على كبح مطامحه، وأبوا إلا وشايته إلى السلطات لكي لا ينتشر أمره، فطالبته السلطات بالحضور، تسأله عن أسرته ووظيفته ونيته، فأجاب بأنه عالم لا يريد إلا نشر الدين الإسلامي وتدريسه وبناء مساجد للمسلمين وإيجاد أراض للزراعة والتربية، فتركته حرا في تصرفاته حينا، إلا أن ذلك الجواب لم يسكت ولم يسكن احتدام عُداته وحِدّتهم، بل زاد في نار حقدهم ضرما ولهبا، فتآمروا عليه من جديد، ولذالك لم تزل السلطات تبعث إليه مراقبين يستقصون تلك الاتهامات والوشايات، ولكنهم لم يروا في نهاية تفتيشهم لأمره إلا حب الخير والدين والتربية.

غير أن ذلك لم يضمن له كل الأمن والاستقرار، أمران يحتاج إليهما شأنه، بل لايزال أعداؤه يضرونه ويمنعونه من الصلاة وقراءة الوظيفة في المساجد.

بَيْدَ أن أناسا من أهل البر والصلاح المقتنعين بجهاده في سبيل الله سلميا، وهبو له عقارا، وبنى فيها مسجده المشهور بزاوية الشيخ الحاج مالك سي بسين لويس.

ثم عاد إلى «كرباسن» وأخذ يفكّر في إستراتيجيَة أخرى مقلعا عن كل شك وتردد فيما سيتخذه نهائيا، ثم جنح عن «كرباسن» إلى قرية «جَارْدِ»، وقضى فيها سبعة أعوام 1895م - 1902م.

ولما وصل الشيخ إلى قرية «جارد» استقبله سكانها بالترحيب والفرح والغبطة، ووجد بيئتها حية، توافق مع ما كان ينتظره، بل ما كان يدعو الله به عند الكعبة الحرام، وفهم أنه لم يبق له إلا تأسيس وتحقيق برامجه التعليمية، المتمحورة على أربعة ميادين: العلم والتربية والإخاء والعمل.

وفي هذا الصدد، بدأ الشيخ رضي الله عنه ببناء بيته ومسجده، ثم حُدّد له مزرعة فسيحة، فأخذ مسؤوليته، وقام بساق الجد في تجديد هذا الدين، وإصلاح ما أفسده أهل الأهواء والبدع من أمور المسلمين وحياتهم، وأرسى هذه الدعائم على المنهج الواضح من التعليم، هذه الكلمة العامة الشاملة (التعليم) التي تعبر بمفهومها عن هذه المعاني: التربية، التكوين، الإعلام، المواصلة، التزكية، التصفية، وهذا على ضوء تعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم التي هي مرآة عملية صادقة للقرآن الكريم.

وكان يتولى تربية الطلبة وتعليمهم وتصفيتهم وترقيتهم، عبر حلقات الذكر والدراسة الدائمة التهيج من فترة الصباح إلى فترة المساء، يراقب سلوك التلاميذ وتصرفاتهم اليومية، ومعاملاتهم فيما بينهم أو مع غيرهم؛ لإحياء روح الأخوة الإيمانية، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم القائل: «إنما بعثت معلما»، نعم العلم هو أول آية في الكتاب تلقاها سيدنا محمد

صلى الله عليه وسلم صاحب الدعوة الإسلامية، كانت أمرا بالقراءة وتنويها بعلم الله وعلم الإنسان.

ولما تنبه الشيخ ﷺ بأن الرجوع إلى التربية الاصطلاحية أمر مستحيل، تنحى عنها إلى التربية بالهمة والحال، ثم وجه الأتباع إليها، وكان يرعاهم ويتفقدهم في كل حالة من الحالات، فلا يقع بصره على شيء جانب الصواب، إلا ونبّه عليه، ووجّه النصح إلى التنحي عنه، ولا طرق سمعه على مشين إلا وبادر بالإنكار عليه، زيادة إلى تشغُّفه إياهم بالعبادة، وتشوُّقه لهم إلى الثواب والأجر.

وعلى نفس المنوال، كان الشيخ t يدعو الأتباع إلى العمل لكسب الحلال، مع ضرب أمثلة حية في اتخاذ الحقول الزراعية في قرية «جارد» وغيرها، وكان يؤمن إيمانا قويا بمبدإ الاعتماد على عرق الجبين، وممارسة الحرف والمهن لكسب القوت، اقتداء بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب المؤمن المحترف».

وكان عدد الوافدين يزيد بل يتضاعف مع تقادم الزمن، من الأماكن البعيدة أو المجاورة لقريته، وقد أغرى ذلك حاسديه الذين كانوا في العاصمة، فسعوا لوشايته إلى السلطات كالعادة، قائلين: إن الشيخ الحاج مالك سي استقر في هذه القرية لإعداد جيش للهجوم على السلطات، وإن الأذكار التي يلفظها هو وأصحابه ما هي إلا رموز للحرب، وإن مشروعه ما هو إلا امتداد لمشروع الشيخ الحاج عمر تال، يا للدهشة !!!

أعطت هذه الوشايات أُكلها في أول الوهلة؛ لأن السلطات الاستعمارية صدقتها، وقالت: إنها صحيحة، وأنه امتداد له، وأخذت تقارن بينهما، وتذكروا الويلات ومرارة العذاب التي جرعهم بها الشيخ الحاج عمر تال في ماض قريب، والشوكات القاتلة التي أملأها في طرقهم، ولكن بعد استقصاء أمره، تبقى النتيجة كالأولى: إن للشيخ السيد الحاج مالك سي قلبا سليما، لا يحب إلا التعليم والعمل والتربية وفق التعليم الإسلامي.

الشيخ الحاج مالك سي ﷺ الذي لاح نجمه في تلك القرية منذ سبعة أعوام، وتخرّجت خلالها على يديه مئات من العلماء العاملين، والمربين الواصلين، وتجمّعت جميع الوسائل على يديه لتبليغ رسالته، عزم على مغادرة الأهل مرة أخرى إلى «تِوَاوُونْ «.

انتقل الشيخ ﷺ إلى»تواوون» ـ على اختلاف بين المؤرخين ـ سنة 1894مأو 1897م، بسبب تفسير القرآن لإخوان مسلمين كانوا في حاجة إليه بيد أن هناك أسبابا أخرىأسرعت انتقاله إليها، نسكت عنها لضيق الوقت.

وكان الشيخ ﷺ يسكن داخل المدينة لما فيها من المصلحة، لأنها لا يخلو فيها الإنسان من الخدمة، ولا من أداء واجبه نحو الإنسانية والمجتمع.

ثم توجه بعزم بعد إقامته فيها نهائيا سنة 1902م إلى تأسيس زاويته بإعانة أتباعه، الزاوية التي ظلت مؤسسة علمية، تعمل على جلب الناس بالأوراد والأذكار، وتقوم بالحفاظ على المقومات الروحية لأتباعها، بل أسرع إلى إخراجها من نطاق مؤسسة الزاوية المحدودة إلى المجال الاجتماعي والثقافي والعلمي الواسع، إذ لم تزل تلعب عدة أدوار ووظائف داخل المجتمع السنغالي.

مكث الشيخ الحاج مالك سي t في هذه الزاوية بين أصحابه مدة تسع سنين، يصلي فيها الصلوات الخمس دون تخلف، إلا يوما كان يطالع في مكتبة داره مع الإخوان، ففاتهم الوقت دون انتباه منهم.

وكان عدد الوافدين عليه من الآفاق البعيدة والقريبة يتزايد، كما تضاعف عدد المريدين المتلقين حوله، فاعتبر زواياه المؤسسة التعليمية المجهزة لتخريج رجال كثيرين، فكان يعقد جلساته التعليمية فيها، أو في مسجده، أو في فناء داره، ويقضي أوقاته بين المذاكرة، والإفتاء، والذكر، والوعظ، وأكثر مواضيعها كانت تدور حول الشريعة والحقيقة؛ لما فيها من كثرة المزاج عند أهل الأهواء.

وكان للشيخ ولوع خاص بسيرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان همُّه الأساس حملهم على طاعة هذا الأسوة الحسنة، ولهذا بادر إلى دعوة الناس بالمشاركة في إحياء ذكرى مولده r في هذه الأراضي، وذلك حين نادى قائلا:

ألا عظموا ليل الولادة حسبة***إذا لم يكن نحو الحرام عدول

وكان الشيخ مولعا بالتأمل والتفكر والقراءة والكتابة، غيور في تطبيق الأحكام الشرعية، وفي هذا الصدد هاجم على الذين لم يجعلوا الرسول r أسوة لهم، يقوله في كتابه: كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين: «الناس اليوم لا يحرمون إلا ما حرم الملوك، لا ما حرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم»، ومن هنا نلاحظ أن الشيخ كمصلح ديني واجتماعي حاول أن ينبِّه ـ على سبيل المثال ـ الممارسات التي تهز المجتمع الإسلامي السنغالي ،

وهي بعيدة عن روح الدين الإسلامي المحمدي.راجع كتابه «كفاية الراغبين» الذي حرص فيه الشيخ رضي الله عنه على تصحيح هذه العادات الفاسدة المضلة

إذا كانت « جارد « هي المنطلق التكويني للشيخ، حيث كوّن فيها النخبة، أصبحت «تواوون» من جانب آخر المدرسة التطبيقية لتعاليمه العلمية والروحية والعملية، والمركز لنشرها إلى جميع مساحات أرض البلاد.

فما لبث الشيخ ﷺ فيها مدة، إلا ارتفع ذكره، وبزغ نجمه، وكثر أتباعه، وأولع به تلاميذه، وسوّده قومه، وخاصة أئمة المدينة.

ولقد سارت حياته فيها هادئة وادعة. وقسم فيها يومه إلى شطرين، الأول يكون فيه بين مدرسته وتلاميذته، والآخر بين مسجده وقراءة وظائفه وأذكاره.

وكان والدا، أستاذا، شيخا، إماما لأتباعه وتلاميذه، إذ تحقق فيه حق الأبوة للرابطة القلبية، والأستاذية بالإفادة العلمية، والشيخية بالتربية الروحية، والإمامة بحكم السياسة العامة للدعوة الإسلامية التي اتسمت ب:

1ـ وضوح قيادته ونصاعتها

2ـ الحرص على نشر السلام

3ـ الامتزاج الروحي والعاطفي

4ـ قيادة الأتباع على نور العلم المحض

وهكذا مضت حياته إلى أن أتاه اليقين في سنة 1922م، فغُسِل، ثم كفن، ثم دفن أمام زاويته ﷺ.[1]

ولقد أجمع جميع الذين جاوروه أو عاصروه، سواء من أعداءه ومن أهل وطنه ودينه على سمو روحه، وطهارة قلبه، وكرم سجاياه، وبهجة سيرته، وغزارة علمه وجوده، وقد أثنوا عليه، وأشادوا بتضلعه في مختلف مجالات العلم، وشتى فنونه.

وكان شيخا عالما عاملا متواضعا زاهدا قانعا عفيفا صبورا حمولا كريما مشهورا بحسن العشرة، وسلامة الصدر، والصلاح، والعبادة، وتوقير العلماء السنيين الصالحين وإجلالهم.

على ضوء ما سبق، يمكن لنا أن نقول إن الشيخ السيد الحاج مالك سي t شخصية فريدة من نوعها، وعجيبة في شأنها ومعاملاتها، يجمع بين العلم، والرأفة، ورقة القلب، والحنان على الناس، إلى جانب الحزم والشدة في المواقف التي تحتاج إلى ذلك، وكان راجح العقل، فطنا، واعيا، مدركا لما يدور من حوله من الأحداث، وكيفية التصرف معها، وردة الفعل المناسبة لها، فهو بحق المجدد الموعود لهذه الأمة السنغالية، وهذا ظاهر من مواقفه الجريئة أثناء فترة جهاده السلمي t، فجزاهم الله U عن الدين خيرا.

عقيدته ومذهبه ومشربه وسلسلته:

عقيدته:

مذهب الشيخ السيد الحاج مالك سي ﷺ في العقيدة هو المذهب الأشعري الذي ينتسب إلى مؤسسه أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري 324ه

مذهبه الفقهي:

أما مذهبه من ناحية الفقه فينتسب ﷺ إلى مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس ﷺ كما نسبه إليه جميع المترجمين له

مشربه:

كان مريدا للشيخ السيد أحمد التجاني الشريف مؤسس الطريقة التجانية، ومقدما وإماما وخليفة في طريقته، وله إجازات فيها من الأئمة الأعلام والشيوخ العارفين السالكين الواصلين

ولقد كان شيخا عارفا ومربيا، ربى مريديه تربية حسنة صالحة بالهمة والحال حتى استقاموا، وخرجوا إلى الحياة أعضاء عاملين في خدمة أنفسهم ووطنهم وإخوانهم.

سلسلته:

أخذ الشيخ ﷺ الطريقة التجانية، كما أسلفنا، عن عدة شيوخ وعلماء عارفين واصلين سالكين مسلكين، إلا أنه كان يعوّل دائما في إجازاته لتلاميذه على السند الذي أخذه عن خاله الشيخ ألفاهم مَيُرُ ولي، وهو أخذ عنالشيخ الحاج عمر تال الفوتي، وهو أخذ عن الشيخ محمد الغالي، وهو عن الشيخ السيد أحمد التجاني الشريف رضي الله عنهم أجمعين، عن النبي r يقظة لا مناما.

مؤلفاته:

خلف الشيخ السيد الحاج مالك سي t مؤلفات كثيرة للأجيال القادمة، استعمل فيها أساليب تمتاز بتنوع فنونها، وتفاوت حجمها، وصفاء ألفاظها،

١ غسله الشيخ عبد فات انجغ والشيخ مدن لوه والشيخ عبد الله كي. وقد صلى عليه مام مور خج سي، ابن عمه الشيخ أحمد سي شقيق والده الشيخ عثمان سي، قد أمره الشيخ أبوبكر سي الخليفة بصلاة على جنازة شيخه وأخيه وخليله الشيخ السيد الحاج مالك سي رضي الله عنهم أجمعين.

وجزالتها، ورقتها، وبُعْدها عن الغرابة والتصنُّع الذي ينم عن تواضعه فيها، وبرع في حسن تنسيق العبارات، وإشراق الصورة ونصاعتها، ما يدل على عنايته بتحريرها وتنقيحها.

أولا: في السيرة:

1- خلاص الذهب في سيرة خير العرب صلى الله عليه وسلم (نظم)

2- ري الظمآن في مولد سيد بني عدنان صلى الله عليه وسلم (نظم)

3- الدر اليتيم والجوهر الجسيم صلى الله عليه وسلم وهي القصيدة التي نتشرف بشرحها في هذه المجموعة (نظم)

4- أ بدى بروق في مدح النبي صلى الله عليه وسلم (نظم)

ثانيا: في التوحيد

5- هداية الولدان (نظم)

ثالثا: في الحقيقة والطريقة

6- إفحام المنكر الجاني (نثر)

7- فاكهة الطلاب (نظم)

8- ثلاث قصائد في مدح السيد الشيخ أحمد التجاني (نظم)

9- أمر النبي في الطريقة التجانية (نظم)

رابعا: في التوجيه والإرشاد والأخلاق

10- نعمة العافي الجاني (نظم)

11- زجر القلوب (نظم)

12- الرسالة اللطيفة (نثر)

خامسا: في التوسلات

13- وسيلة المتقربين إلى حضرة رب العالمين (نظم)

14- قصيدة الرفات (نظم)

15- وسيلة المنى في نظم أسماء الله الحسنى (نظم)

16- يا كاشف الداء (نظم)

17- منظومة الحزب السيفي (نظم)

18- نظم حروف صلاة الفاتح (نظم)

سادسا: في الشريعة

19- كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العالمين (نثر)

20- الكوكب المنير (نظم)

21- منظومة في وجوب زكاة الفول السوداني (الفستق) (نظم)

22- منظومة في ثبوت الصوم بالتلغراف وبالنار والبارود (نظم)

سابعا: في العروض

23- إحدى الحسنيين في علمي العروض والتصوف (نظم)

24- منظومة في علم العروض والقوافي (نظم)

ثامنا: في الآداب

25- قنطرة المريد في العلم وفضائله وكيفية تحصيله (نظم)

26- منظومة في آداب المسجد (نظم)

تاسعا: في الخطب

27- خطبتان للعيدين (نثر)

28- خطبة الجمعة (نثر)

29- خطبة النكاح (نثر)

نكتفي بهذا القدر الحقير خوفا من الإطالة، ومن باب رد الجمل والعرفان لابد بُعَيْد الختم أن نوجه أتم الشكر وأجل الاعتراف إلى الشيخ أبي بكر سي منصور الخليفة المشرف على سير أعمال الحضرة المالكية، حفظه الله ورعاه وأيده ونصره.

وكذلك نوجه أخلص أدعية إلى أعضاء جمعية الفاتح الذين واكبوا على بحث ونشر تراث هذه الحضرة السنية الصوفية مجانا، فجدير بنا نحن أبناءها أن نولي هذا الجانب حتى تكون مسيرتنا الخيرية في نهضتنا العلمية مرتكزة على أسس راسخة من المبادئ والقيم الإسلامية الصوفية. فجزاهم الله خير الجزاء وتقبل جهودهم مع النجاح التام في جميع المهام المنوطة بهم. وكل عام وأنتم بخير.

الحمد لله رب العالمين

اللهم صل على سيدنا محمد وسلم

أخوكم سرج امبي باه

سبط الحاج مالك كبي

التواوني

الإستراتيجية الفاعلة للشيخ الحاج مالك سي في التربية والإصلاح

فقد اقتضت حكمة الله تعالى بأن يقيض لدينه الإسلام منذ أن ظهرت دعوته في حيّز الوجود رجالات عظماء خدموه حق الخدمة في منتهى الصدقً والإخلاص، وفي غاية الالتزام والوفاء، وكرسوا حياتهم لنشر تعاليم دين الحنيف الذي ارتضى لهم، كما نافحوا عن كيانه وذادوا عن حياض أمة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – . ولعل ذلك ما نوّه به القرآن الكريم في حنايا هذه الآيات:[والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين][1]

[وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون] [2]

[ثم أورثنا الكتاب الين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير [3]]

[ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنّني من المسلمين][4]

ثم إذا كانت رتبة الجهاد في سبيل الله – بصرف النظر عن طبيعته، سواء بالسيف أو بالعلم ـ من أجلّ المقامات وأسماها، فبالطبع هؤلاء الرجال من أفضل الناس مكانة، وأكرمهم شأنا، وذلك بسبب تعلقهم بأمر من أهم الأمور قدرا، وأعظمها أجرا، ومن ثمّ فإن الإنسان المسلم مرشح ومدعو دائما للتطلع بنفسه إلى هذا المستوى الجهاديّ الدعويّ الرفيع الذي يمتاز به ورثة الرسول ﷺ وقليل ما هم حقيقة في حين ما أكثر من ينتمي إليهم في كل عصر .

والحقيقة أنه لا مراء في اعتبار الشيخ الحاج مالك سه ـ رضي الله عنه – واحدا من أولئك الصفوة من العلماء الدعاة، بل هو من طلائعهم ضمن معاصريه؛ حيث إنه يُعدّ عن جدارة واستحقاق من أبرز العلماء المميزين الذين تصدوا لتربية أبناء المسلمين وتعليمهم ، وذلك بفضل ما بذله من جهود متنوعة، ومترامية الأطراف، بغية تحقيق ما قصده من تبديد غياهب الجهل على قاصدي مدرسته العلمية، ورواد مناهله المعرفية..

ثم إنه، ليس من السهل الحديث عن شخصية كبيرة بطراز علميّ مرتفع مثل الشيخ الحاج مالك سه t، والذي قد أصبح صعب الإدراك في الرقم القياسيّ من العلوم والآداب، وصار، بطبيعة الحال، مكتوب الاسم في صفحات التاريخ بخطوط عريضة؛ لانجازاته العلمية التربوية الاجتماعية العظيمة؛ فيُعدّ له في دفع عجلة الدين إسهام معتبر ومشاركة فعّالة.

بناء على على حياته المليئة بالعبر والدروس؛ فلا يمكن اعتبار هذه المحاولة إلاّ عجالة سريعة عن أهلية الشيخ الحاج مالك ﷺ «بمدرسة خيرية نموذجية»[5]، بل «جامعة شعبية فريدة»[6]؛ لما اكتسبه من كفاءات علمية وآليات معرفية، تمكنه من تفعيل مناهج تعليمية عالية في أوساط دياره المتواضعة.

قد ألزم الشيخ ﷺ ـ طيلة مشواره التعلُّميّ المديد، ومنذ نعومة أظفاره ـ شغف علميٌّ ، بمجهودات جبارة؛ فجاب الفيافي، وجال في مناكب البلاد شرقا وغربا إرواء لهذا الظمأ العلميّ المعرفيّ، فمضت سنون عديدة والشيخ ﷺفي جولات وتنقلات استغرقت اثنتي عشرة سنة، تلاقى خلالها مع شيوخ علماء، راسخي الأقدام في شتى فنون العلم والمعرفة، فكان حظ الشيخ في لقائه مع هؤلاء الشيوخ، أن يأخذ من كل واحد ما هو مختص به من المواد العلمية، والذي اشتهر به.

ولم تكن هذه الجولات العلمية منحصرة في أصقاع البلاد وضواحيها فحسب، لكنها ذهبت بالشيخ ﷺإلى سلوك دروب عديدة في مناطق مختلفة لنفس الغرض، ولذلك، لما توجه إلى الشرق حاجا سنة 1889م ، انتهز تلك الفرصة بعد فراغه من أعمال الحج لملاقاة شيوخ القاهرة، وواصل إلى بغداد، ثم إلى بيت المقدس، ثم بعض الدول الآسية، وكان في

١) سورة الروم الآية ٦٩
٢) سورة التوبة الآية ١٢٢
٣) : سورة فاطر الآية ٣٢
٤) : «سورة فصلت الآية: ٣٣».

٥) إشارة إلى قول الشيخ سعد أبيه:
مدارسه في العلم خير مدارس *** وأوراده في الذكر ما مثله ورد

٦) من تقرير المشترق، «بول مارتي»: la caracteristique de la Zaouya de Tivaouane, c'est qu'elle constitue une véritable université populaire.← Page 186 Tome1

كل هـذه الأقطـار يسـتضيف ويسـتنزل عنـد العلمـاء لتحقيـق نيتـه في إجـراء المناظـرات والمباحثـات معهـم.

ومـرّ الشـيخ ـ في سـبيل التحصيـل العلميّ ـ ببعـض العلمـاء فـي موريتانيـا، وحصـل منهـم علـى إجـازات علميّـة تشـهد علـى إتقانـه وإلمامـه بفنـون مختلفـة فـي العلـوم الإسـلامية، فكتـب لـه الشـيخ محمـد الحافـظ بـن الخيـر ﷺ إجـازة فـي علـم مصطلـح الحديـث وطبقاتـه ورواياتـه، وحصـل أيضـا علـى إجـازة مـن الشـيخ محمـد فـال بـن الفـغ بـن محمـد لـول ﷺ فـي القـرآن الكريـم بروايتي ورش وقالـون، وإجـازة أخـرى مـن الشـيخ محمـد عالـي اليعقوبـي العلـوي ﷺفـي الكتـب السـتة الصحـاح وموطـأ مالـك.[1]

ولقـد تَمَظْهـرتْ نتائـج جولتـه التعلُّميـة وبصمـات تلـك اللقـاءات العلميـة فـي ثقافتـه الواسـعة، ومعارفـه الفيّاضـة، وعلومـه الغزيـرة. وقـد تطـرّق إلـى ذكرهـا بعـض مُترجميـهِ، منهـم فيرنـات كيسـنوت (Fernart quisnot) القائـل فـي هـذا الصـدد: «إن ثقافـة الشـيخ الحـاج مالـك سـي الرفيعـة، ودراسـته العاليـة، وحياتـه المثاليـة، ونزاهتـه، تُبيِّـن بوضـوح تأثيـره مـن 1902م ـ 1922م وكونـه موضـع الاحتـرام والإجـلال مـن طـرف جميـع المسـلمين السـنغاليين».[2]

ولـم تكـن هـذه الجهـود البالغـةُ الأهميـةِ قاصـرا علـى فتـرة تعلّمـه فحسـب، بـل كان هنـاك اهتمـام سـاهر مـن قبـل الشـيخ ﷺ طيلـة أيامـه بـكل مـا يمـت الصلـة إلـى خدمـة العلـم والمعرفـة: مـن دراسـات حـول المسـائل الخلافيـة ترجيحـا، والبحـوث فـي القضايـا الفقهيـة النازلـة اسـتنباطا، والاعتنـاء بالأحـكام الشـرعية المختلف فيهـا جمعـا وتوفيقـا، أو كمـا قـال بـول مارتـي:«.... هـو المرجـع فـي كثيـر مـن المسـائل الخلافيـة الدينيـة والأخلاقيـة والثقافيـة»[3].

وبمقتضـى هـذا، تصـدى الشـيخ ﷺ ـ مـرة أخـرى ـ لمهمـة التأليـف والتعليـم والتربيـة التـي بجملتهـا يتكـوّن عنـده ـ فيمـا نعتقـد ـ الجهـاد بمعنـاه الحقيقـي؛ وذلـك لملاءمتهـا مـع تلـك الظـروف الزمكانيـة، أو بعبـارة أخـرى، كان التعليـم وتربيـة الأتبـاع بالنسـبة للشـيخ وسـيلة أنسـب للجهـاد فـي سـبيل اللـه، وأسـلوبا أليـق لدفـع عجلـة

الدعـوة الإسـلامية وقتـذاك؛ لاعتبـارات وضعيـة خاصـة، وأخـرى ظرفيـة، فأقـام لتنفيـذ هـذه البرامـج الجهاديـة قلعـةً ثلاثيـة، وهـي: (المسـجد ـ المحضـر ـ البسـتان)، وعكـف عليهـا سـنوات عديـدة، بـل مـدة حياتـه؛ لتكويـن قـادة تكـون علـى عاتقهـم مسـؤولية نشـر الدعـوة وتوعيـة الأهالـي عـن خيريـة الإسـلام إذا رجعـوا إلـى ذويهـم.

ولهـذا، نجـد أنفسـنا مخضعيـن لحقيقـة ـ لا تطيـر بجنباتهـا الأوهـام ـ مؤداهـا أن جهـاد الشـيخ الحـاج مالـك t كان يتأسـس علـى خطـة إسـتراتيجية وحنكـة سياسـية فـي تناولـه لكبـرى القضايـا الدينيـة داخـل أكـواخ بسـيطة، لكنهـا بمثابـة الديـار الأكاديميـة العظيمـة؛ لأنـه اسـتطاع، بمـا كان يدبـر فيهـا، أن يقـاوم القـوة الاسـتعمارية وعملياتهـا الاسـتلابية الثقافيـة وغزوهـا الفكـري، بأسـلوبه الخـاص لـه.

ثـم لـم يكـن الشـيخ ليتحـذر المسـتعمر يومـا مـا، كمـا يتخيلـه بعـض المهتميـن بتاريخـه، والذيـن هـم لـم يدققـوا دراسـاتهم حولـه، بـل جمعـوا كل غـث وسـمين عـن صفـة ذاتيتـه تعمـدا أو خطـأ، لكنمـا الحقيقـة كانـت علـى العكـس، فالحـذر كان مـن وجهـة المسـتعمر، لأسـباب عـدة، علّ مـن أهمهـا مـا عنـاه أحـد الباحثيـن بقولـه: «أدركـت العناصـر الأوروبيـة التـي سـكنت إفريقيـا حاجتهـا للأسـلحة الناريـة مـن أجـل التوسـع والاسـتيلاء علـى الأراضـي الخصبـة، وتأميـن المراعـي والدفـاع عـن النفـس، وصيـد الحيوانـات، وعلـى هـذا أتاحـت بريطانيـا دخـول السـلاح إلـى هـذه المنطقـة، وكانـت التجـارة فيهـا مشـروعة، غيـر أن الأوروبييـن حاولـوا حظـر حيـازة الأفريقييـن لهـذه الأسـلحة خشـية اسـتخدامها ضدّهـم، وطبقـت هـذه السياسـة علـى جميـع مسـتعمرات

١) يُنظـر: إفحـام المنكـر الجانـي علـى طريقـة الشـيخ أحمـد التيجانـي/ للشـيخ الحـاج مالـك سـي/ ص:١٧ ـ ١٨.

٢) يُنظـر: كفايـة الراغبيـن فيمـا يهـدي إلـى حضـرة رب العالميـن دراسـة وتحقيقـا / رسـالة الماجسـتير للحـاج عبـد امبنـغ / ص:٦٣، نقـلا عـن الأراشـيف الوطنيـة / دكار ـ السـنغال / الملـف رقـم:941 BI 80

٣) ينظر:études sur l'islam au Sénégal/Paul Marty/p188
وقـد ورد النـص بهـذا اللفـظ:beaucoup de point litigieux en matière religieuse, morale ou culte, lui sont soumis.

الجنوب»[1].

وقد أسعفتنا بعض المعطيات التاريخية بأن القوة المحتلة بالساحة السنغالية آنئذ قد استدعت الشيخ ﷺ من حين لآخر عدة مرات تفتيشا لحركاته إزاء أمرهم، وفي كل مرة من هذه، كان الشيخ يصرح بصرامة ما هو عليه من الأعمال صغيرها وكبيرها، ومن تلك الإجابات قوله الجازم: «سأعمل وأتباعي على تحقيق هذا الهدف، أما ما يتعلق بالأسلحة الذي قلتم ادخرناها، فصحيح، ومنها هذه السبحة التي بين يدي، وسأعمل بها لنشر الإسلام والطريقة التيجانية على رغم أنفكم».[2] غير أن الشيخ آثر الجهاد بطريقة سلمية على حمل الأسلحة ضد العدو، نعم الخيار خياره، ولنعم الجهاد جهاده!

فمشروع الشيخ الحاج مالك الدعوي الجهادي، لم ينطلق من فراغ، بل قد قرأ الشيخ الظروف السالفة التي عاشها سابقوه من الدعاة، ووعى الأحداث

التاريخية التي عرفها الشيوخ المجاهدون، ففهم بها واقعه المعاش، وتيقن بما آلت إليه مقاوماتهم الشرسة ضد النصارى؛ ثم درى بأن مسيرته الجهادية إلى منحى زعماء الكبار تصير؛ إذا سلك نهجهم في مجابهة المستعمرين بكيفيتهم المعهود عليها. لهذا السبب الأساسي، قد أغض الشيخ عينيه عن نشر الإسلام بحمل أسلحة. إلا أنه كان، قبل ذلك، عازما في إضرام لظى الحرب ضد أعداء الدين، لكنه بعد ما طبق الآية الكريمة: [والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون][3] ، ناصحه بعض الشيوخ الذين تشاور معهم في القضية، بأنه ليس بصالحه أن يغمر لجج المعارك مقاومة عن النصارى، لأن ذلك قد يؤدي إلى فشل عاجل دون مراميه، ومن هؤلاء الذين تجاذبوا أطراف المشاورة مع الشيخ الحاج مالك سه رضي الله عنه، الشيخ موسى كمر، كما سرد الرواية، هو الأخير، في كتابه[4].

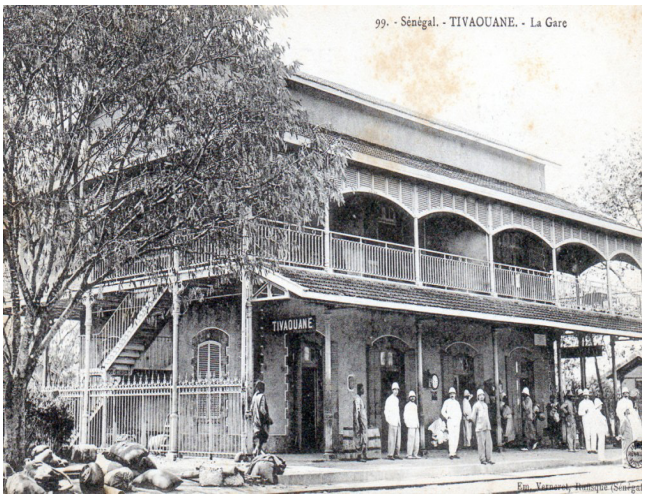

فالشيخ الحاج مالك سي ﷺ - بلا مراء - من هؤلاء الرجال العظام، الذين قدموا للإسلام خدمة جلية في إطار الدعوة والإرشاد بمنتهى الصدق وبغاية الإخلاص، ونشروا تعليماته المجيدة بكل همة وجهد، وقاموا بالذود عن حياض أمته بأشد غِيرة وحماسة.

أما نحن الخلف، يتحتم علينا أن نرسم، باستقراء من نتائج السلف الثرّة، نهجا مواكبا مع الركب الحضاري، وخاصة في هذا الظرف الحالي الذي تشتد فيه الحاجة الإسلامية إلى توظيف كافة قدراتنا وتفعيل مناهج صحيحة لإعطاء ديننا الحيف ـ عبر التعاليم والدعوات ـ صورة تليق بجوهره، والإسهام في تهيئة ظروف تقبل الإنسان المسلم هناك، والاستئناس به في منتهى الأريحية وغاية السعادة. ويظل من المفيد أن نخصص لرموز ديننا هؤلاء، أمثال الشيخ الحاج مالك سه ﷺ، بدراسات علمية رصينة، يستفيد منها الأجيال في كل زمان ومكان.

من أسير ذنوبه وعبيد ربه شيخ التجاني جانج

2019/10/25م مدينة تياس

١) - د. محي الدين محمد مصيلحي: «تجارة الأسلحة النارية في جنوب أفريقيا»، ص: ١٥٨، ١٣٨ من المجلة التاريخية المصرية، مج٣٢/١٩٨٥م.

٢) كفاية الراغبين دراسة وتحقيق/ الحاج عبد امبنغ/ ص: ٦٧، نقلا عن Elhadji Malick Sy parcours sans faute d'un homme exceptionnel/Khali Fall/Le soleil du jeudi 24 juin 1999.

٣) «سورة الشورى الآية : ٣٨»

٤): ينظر: أكثر الراغبين في الجهاد بعد النبيين من يختار الظهور وملك البلاد ولا يبالي بمن هلك في جهاده من العباد / الشيخ موسى كمر / ص: ٣٦

ألهذا دعوتنا؟

سؤال غريب، بل مُحْرِج- إلى حدّ ما- ولكنّه حقيقة مُرّة يجب أن نتعامَل معها بكل موضوعية، لعلّنا نجد له جوابا.

إننا نعيش اليوم في زمن كثرت فيه اليوميّات والأمسيّات والذكريات.....والتي تقام من هنا وهناك باسم الدين، بل لا يكاد يمرّ أسبوع إلا وهناك دائرة أو جمعية أو مؤسسة تنظم تجمّعا من هذا القبيل، وتُعْنون له بعنوان برّاق أو بشعار مشوّق، أو تسمّيه بشيخ من الشيوخ الأجلاّء رضوان الله عليهم أجمعين، فتتلهّف النفوس لحضوره، ويتسارع الناس إلى حجز أماكن تسمح لهم بالإصغاء إلى المحاضِر دون أي تشويش.

ولكن المؤسف في الأمر أننا كثيرا ما نُفاجَأُ بفراغ بعض هذه التجمّعات من التعليمات الدينية أو التوجيهات الروحية التي من أجلها احتشد لها الجماهير، بل كثيرا ما يحيد بعضها عن مسارها الروحي لينحو منحًى سياسيا بحتا، أو يتحوّل إلى مشهد فولكلوري تُلحَّن فيها القصائد الدينية - التي نظمها أصحابها للتوسل بربهم- بألحان يسود فيها الطابع الفولكلوري، وتُبْعدها عن صورتها التضرّعية، فيصبح هذا التجمع أشبه إلى معرض للأزياء تتنافس فيه النساء بارتداء الملابس الفاخرة ،أو إلى منبر يسرد فيها المحاضر حكايات مازحة، وقصصا مضحكة لا ترمي إلى أي هدف تربوي. وبدلا من التأسّي بأخلاق الشيخ الذي أطلِق عليه اسم اليومية أو الأمسية، أواستخلاص دروس وعبر من حياته ، فغالبا ما يكون مقارنة بل مفاضلة بينه وبين رجال مؤمنين قضوا نحبهم بعد أن صدقوا ما عاهدوا الله عليه، أو يكون تتبعا لعورات سترها الله لأصحابها، أو إيقاظا لفتنة كانت نائمة ، فيخرج منها المستمع بخفي حنين، ولسان حاله يقول: (ألهذا دعوتنا؟) ويكتشف في النهاية بأن حضوره كان مَضْيَعَةً لوقت كان بإمكانه أن يُمْضيه في قراءة جزأين من القرانً الكريم يكون له نورهما في قبره، أو يقضيه في استغفار تبيضّ به صحيفته يوم القيامة، أو في صلاة على النبي — صلى الله عليه وسلم- يكفى بها همه ويغفر له ذنبه، وينال به شفاعته.

هذا، ولا يعني أنّ كافة الاجتماعات ينبغي أن تلغى، ولكن — نظرا لكثرة التحديات التي تؤرّق الأمة الاسلامية وتكون لها بالمرصاد- فإننا بحاجة ماسة إلى أسبوعيات ويوميات وأمسيات ..... تكون فرصة ذهبية لتوعية الشباب بخطورة الموقف ، ولإعدادهم إعدادا جيدا يمكّنهم من الذّود عن التّراث الرّوحي الّذي خلفه لنا المشايخ وتنقيحه من كل شائبة، ولتزويدهم بآليات علمية وعملية تؤهّلهم للقيام على مواجهة القضايا التي تعرقل مستقبل حياتهم وتجعلهم لقمة سائغة في أيدي «الفرامسون» وأصحاب الأيدولوجيات الفاسدة والتيارات المتطرفة الذين يعملون ليل نهار لتفريق شمل المسلمين والحطّ من منازل شيوخنا الكرام وطمس آثارهم والنيل من كرامتهم.

وأختم مقالتي ببيتي الشيخ الحاج مالك سي، عليه رضى المالك:

على كل متبوع دلالة تابع

لما هو أجدى لا لجلب عطاء

ألا نبّهوا الأتباع كي لا تؤاخذوا

بما أحدثوا في الدين دون سواء

بقلم الاستاذ:عبد العزيزكولي

المؤاخاة في الله أصفى من الزلال.

إن الشيخ الحاج مالك سي ـ عليه رضا العزيز المالك ـ الفقيه الصوفي والصوفي الفقيه محيي السنة في الديار السنغالية يورد في كتابه «كفاية الراغبين فيما يهدي إلى حضرة رب العلمين» ما نصه: قلت ومن أعظم المصيبة في هذا الزمان ظهور المتشيخين، الذين يبلغوا درجة العوام، فإنه على الشيخ ـ في روح الأرواح ـ أن ينبه المريد أن تعظيم كل المشايخ المحققين واجب، واحترام المسلمين فرض، وأن من حقر طريقة غيره فقد حقر الإسلام، وربما جره ذلك إلى الكفر وهو لا يشعر، فإنه يستحيل الغيبة والحقد وتفريق المؤمنين، فنعوذ بالله من الغرور، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اهـ.

نعم إننا لو رجعنا إلى الطرق الصوفية وأصولها وشروطها وآدابها لوجدناها كلها تولي اهتماما خاصا لهذا الجانب.

فمثلا نجد في كتاب جواهر المعاني» الفصل الثاني والعشرون في ذكر شرائط الطريقة التجانية ما يلي: الشرط الرابع عشر: **عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلق ولا سيما بينه وبين إخوانه في الطريقة.اهـ**

وفي رسالة أخرى موجهة إلى فقراء فاس يقول: «**وعليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيب من القلب ويوجب المحبة ولو بتفقد الحال وإلقاء السلام،وتجنبوا معاداة الأرحام وعقوق الوالدين وكل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان، وتجنبوا البحث عن عورات المسلمين، فإن من تتبع ذلك فضح الله عورته وهتك عورة بنيه. اهـ**

إن المؤمل لهذه النصوص يرى بعين اليقين أن الاتهامات التي توجه إلى طرق الصوفية بأنها مصدر وعامل تفكيك لأواصر الوحدة الإسلامية اتهامات لا أساس لها من الصحة.

زمن أخلاق أهل الله المقربين محبة إخوانهم المسلمين محبة أخوة وسلام وإيمان، إيمانا منهم أن قد آخى بين المؤمنين وشدد النكير على من يسعى إلى ما يخالف ذلك.

وتحقيقا لهذا المبدأ الأساسي السامي كانوا دائما يوصون الأتباع والمريدين على احترام أهل القبلة جميعا، وعدم تكفيرهم تحقيقا للتوازن الإنساني فيما بين ظواهر الحياة وبواطنها ومطالب معاشها ومعادها وخصوصا إذا علمنا أن التصوف قام لخدمة دين الله والإبقاء على فضائل المجتمع الإنساني والتسامي بالناس إلى حياة أكرم وأسعد وأطهر وأبهج، ورفع راية الإسلام وتوسيع أوطان أهل القبلة وحماية ثغورها وحدودها.

ونجد أن الصوفي الذي تحققت في روحه الحقائق الروحية والعواطف الربانية لا يسعه إلا أن يكون من الذين ينشرون بالخير والبهجة والحب والتآخي والسلام والمعرفة والتعارف إيمانا منه أن المؤاخاة في الله أصفى من الزلال.

وأما ما يذهب إليه بعض الناس اليوم، من التفاضل في الطرق الصوفية، والمعاداة العاطفية، فأمر خارج عما كان عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين.

وسنعرض أبياتا لكل من الشيخ الحاج مالك ـ عليه رضا العزيز المالك ـ وأخيه الشيخ أحمد بمب رضي الله عنه، على سبيل الاستشهاد، فالشيخ الحاج مالك عليه رضا العزيز المالك، يحذر من مغبة هذا الداء الوبيل:

ومان أناس في إماتة سنة

تمالوا وبث العلم فيه عيوب

دعاوى هي العلم المؤكد عن

دهم ومنتسب للغير فهو لعوب

تفاضل طرق والجدال حديثهم

كما قال زروق جزاه مجيب

زمان بكى من قبله كبراؤنا

جنيد كذا الجيلي فحق نحيب

وكم باطن يوم القيامة باطل

إذا لم يوافق ما أتاه حبيب

ويقول في قصيدة أخرى:

فالطرق كلها إلى الرحمن

موصلة مسلكة ياجاني

وللشيخ أحمد بمب مؤسس الطريقة المريدية، رضي الله عنه

فكل ورد يورد المريدا

لحضرة الله ولن يحيدا

سواء انتمى إلى الجيلاني

أو انتمى لأحمد التجاني

أولسواهما من الأقطاب

إذ كلهم قطعا على الثواب

إخوة القراء نوجه هذه الدعوة العامة إلى جميع ساداتنا مشائخ وزعماء الطرق الصوفية أن يعكفوا على محافظة هذه الكنوز وهذه الدرر الغالية التي هي من أغلى ما يمتلك الإنسان في حياته.

وفقنا الله تحقيق كل ما تصبو إليه النفس الأبية الطاهرة من نصرة قضايا الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. ودفع عجلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية للسنغال ولجميع بلدان العالم الإسلامي، إنه سميع مجيب الدعاء.

بقلم أخيكم: بابا مختار كبي.

رجل أمة وأمة برجل

إنني اليوم أرسل القلم على سجيته، ليحوم على بحر زاخر بالأنوار والمعارف والفائض باللآلي والدرر، تحوم عليه أنفاس الهمم، ولاتصل إليه أيدي المطامع مالك دهره وحافظ عصره ذي المواهب العلية والمناقب السنية، بن الفقيه عثمان تاب عليه الرحمان. الطيب الأصل والنسل والحسب.

نشأ يتيما في بيت العلم والأدب، والولاية والتقوى والحكمة والشجاعة، والفطنة والحنكة. وعاش عظيم قومه وحكيم جيله، بل فارس ميدان البراعة، والآخذ بناصية القرطاس واليراعة، مجدد معالم الديانة، والقائم بأداء الأمانة محيي السنة وقامع البدعة، ذي القلب الخالص والقلم الناصح صنع الرجال وحسم الجدال، تبسم له الزمان وجاد له بكل ما لديه فأراه أيما شمم، فلم يكن مهتما إلا ما يهم أهل الفضل والصلاح ، من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. سولت له نفسه شغف العلم، ورزقه مولاه النباغة، فحفظ كتاب الله وتضلع في العلوم الشرعية واللغوية، والطريقة والحقيقة ولم يبلغ الثلاثين . و أصبح علما في الزهد والتقوى وهو في ريعان شبابه، تسابق علماء عصره إلى الأخذ عليه وتفاخروا بالحصول على إجازاته.

شهد له المستعمر بثراء المكتبة، ومالك أغلب المخطوطات العلمية. وشهد له علماء عصره بالعلم والعمل والتفوق، ورث من الحكمة قسطا كبيرا، ومن العلم والمعرفة فرضا وتعصيبا. فقد كانت العيون ترنو إليه وتومئ إليه الأصابع، مهّد جادّة الإجادة، وقوي مادة الإفادة،

رجل بفكره الناصع بدد ضباب الأوهام وخلص الناس من ذل الآثام، صنع الرجال وشد حبل الدين الوصال، و فصم خيوط الجهل ونزح غيوم الخرافات والأساطير، فقاد الجيل وشاد الدين، فلم يزل مجددا ومصلحا، مجاهدا لدينه ومناضلا لوطنه، ساهم بعلمه الفياض في بناء صرح مجد الوطن ، وبقلمه السيال في صيانة كرامته ،والحد عن غطرسة المستعمر الغاشم فذاد الشعب السنغالي عن الذل والهوا ن، بحكمة فائقة وحجة بالغة فحقق الهدف ولم يرفع صوتا على أحد.

حقا إنه رجل أمة، وأمة برجل مالك دهره ورافع لواء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، عليه رضا العزيز المالك.

من المتطفل محمد في.

مدرسة تواوون: مصدر نور ومصنع رجال

وصلى الله على سيدنا ومولانا ومحمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

إخوة القراء لمجلة الفاتح، اسمحوا لنا في هذه المرة أن ندمع أنف يراعتنا حول هذه المدرسة الدينية العلمية التربوية، بل الزاوية التي غدت جامعة وانحدرت منها روافد دينية وزويا كثيرة تحتل مكانة مرموقة في سلم الزوايا السنغالية، والتي امتصت حبر أقلام الباحثين والمفكرين والسياسيين قديما وحديثا، معتمدا على هذه النقاط التالية:

- نبذة عن مدينة تواوون قبل الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه
- مدرسة تواوون مصدر نور
- مدرسة تواوون مصنع رجال:

أولا: نبذة عن مدينة تواوون:

إن مدينة تواوون التي تعتبر من أكبر المدن الدينية في السنغال، قبل حلول الشيخ الحاج مالك كانت مسرحا للهو واللعب والمجون، بالإضافة إلى كونها موقعا استراتيجيا لدى المستعمرين و مركزا للتجارة والسياحة.

وقد ساد فيها الفوضى وعم بها البلوى واختلط الحابل بالنابل. نتيجة كثرة الوفود فيها من مختلف الشرائح والطبقات، من رجال العلم والفكر والسياسة، والتجار، استوطنها الملوك التقليديون الوثنيون، وذلك مما جعل أصحاب النفوذ من وجهاء المدن في عصر المماليك (كجور Ka-dior جلوف اتجابور Diolof باوول Baole)[1] ينزلون فيها لشراء الخمر والتجارة بالرق.[2] وأيضا كانت محط رحل المغاربة الذين يأتون عن طريق المرابطين والذين يعزى إليهم قصب السبق في نشر الدين الإسلامي الحنيف في غرب إفريقيا. هكذا كانت حالة المدينة إلى أن هيأ الله العوامل التي بها نشأت هذه المدرسة العرفانية النورانية. و منها ظهور هذا البدر المير الذي لاح بأنواره الساطعة في تلك الأصقاع، فعم بالفضل تلك البقاع.

ذلكم الشيخ الحاج مالك عليه رضا العزيز المالك، الذي نشأ يتيما فحضنه خاله الفاهم بر، المتضلع بالعلم والفضل والصلاح. والذي تحمل أعباء تربيته وتوجيهه حتى رسخ قدمه في العلم والزهد والتقوى.

وهو رضي الله عنه بعد ما عاد من رحلته الحجية الاستكشافية، انتصب للتعليم والتربية والتكوين والتأليف ، ودعوة الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم الدنيوي والأخروي.

وبحكمته الدعوية، أدرك أن الداء العضال الذي يهدد كيان الأمة، ويشتت أوصالها، هو داء الجهل. تبادر بهمة عالية وعزيمته فائقة لمحاربته واستئصاله. فدعا إلى إحياء الدين بالعلم فقال:

---

1) هذ المناطق توجد في السنغال. فكجو اسم مشتق من أكجور كلمة ولفية معناها سهول رملية وتقع بين داكار غربا وجلوف شرقا وباوول جنوبا، وكانت ولاية من الولايات التابعة لجلوف عدة قرون ودميل اسم من يحكمها. وجلوف من أقدم الولايات السنغالية وهي كانت قفرا قليلة السكان وعاصمتها أصل عواصم ملوكها، وولوف هي اللغة الصحيحة هناك. كان ألبر اتجاي آخر ملوكها. وتقع شمال لوغا وشكلها الجغرافي يبلغ 130 كلم والجانب الآخر 140 كلم. وباول تقع شمال كجور و(تيج) لقب ملوكها . تحرير الأقوال في تاريخ السنغال.

2) ـ مجلة الفاتح علمية دينية يصدرها معهد الشيخ الحاج مالك سي للدراسات الإسلامية والبحوث العلمية بتواون في مقالة سيد أحمد سي ابن الحاج عبد العزيز الأمين ص10 ــ11 العدد الثاني.

ألا يابني هذا الزمان دعوتكم

لإحياء دين بالعلوم أجيبوا

وقد أنشأ الشيخ هذه المدرسة وطبق فيها منهجا تربويا علميا ربانيا، متسما بالاتزان، والاعتدال، والتوسط، ضمن مقاصد الشريعة الإسلامية، وكانت من نتائجها صناعة رجال ستبقى مكانتهم الدينية ومناقبهم النورانية العرفانية مسجلة في التاريخ بمداد من الفخر للأمة المسلمة

ثانيا: تواوون مصدر نور:

يقول الشيخ علي غي رضي الله عنه أحد الرجال الذين صنعتهم هذه المدرسة:

أتى وبقاع السود ظلم وظلمة

فقام بسيف الهم بالحق مجرد

ويقول الشاعر:

وما شرف الأقطار إلا رجالها

وإلا فلا فضل لترب على ترب

ويقول آخر:

تواوون القوم أرض للهدايات

أضاءها الله من نور الدرايات

والشيخ أحمد التجان سي المكتوم رضي الله عنه أيضا يقول:

نزلنا نزولا رجوع بعدها

بظلك يا خير القرى والمدائن

وفيك وجدنا ما اشتهته نفوسنا

وفيك وجدنا خير ما في المواطن

توطنك الفرد الذي عمم الورى

بآلائه تعميم أجود هاتن

والشاعر الموريتاني محمد عبد الله ابن القفا العلوي بقوله:

"خليلي عوجا وانزلا بتواون

تواوون فيها اليمن للمتيامن

فما طار فيها طائر متشائم

ولكنها ذات الطيور المتيامن

ثالثا: مدرسة تواوون مصنع رجال:

السؤال الذي يطرح نفسه هوامها هي جذور منهج الشيخ الحاج مالك التعليمي والتربوي ونتائجها؟

إن التصوف الإسلامي قد بلغ شاوا بالغا في إنتاجات المدرسة التواونية، لأن الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه لم يزل مدة حياته معلما ناجحا ومربيا حكيما راسخ القدم في الشريعة والطريقة، يخاطب العقول والنفوس، ويرشد العقول التائهة، وينبض القلوب الميتة، بذكر الله، ويكشف ستار العيون المسحرة، ويجدد رسوم الدين ومعالمه الحضارية، ويزكي النفوس الغافلة. فهو رضي الله عنه ما كان يرى حدا فاصلا بين الشريعة والحقيقة، لأن الثانية ثمرة عمل العبد بأحكام الشريعة. وعلى هذا المنهج : الشريعة والطريقة بنى به مدرسته واستخدم عدة أساليب لتنفيذه خططته التربوية المعتمدة على الكتاب والسنة والتصوف السني الهادفة إلى صناعة رجال يحمون قومهم ويذودون أمتهم ويقيمون الدين وينصرونه.

ففي التعليم:

اعتمد الشيخ بتعليم الشريعة مع التمسك بجوهر الحياة الروحية، حسن الصلة بالله تعالى بذكره وشكره وحسن عبادته، فمعنى التصوف عنده هو صدق التوجه إلى الله تعالى:

صدق التوجه في إرضاء خالقنا

معنى التصوف لا ما قال ذو الرعن.

وفي التربية :كان الشيخ يعتمد على مبدأ التربية بالقدوة، فيقوم بالواجب قبل أن يدعوا إليه. وذلك مبدأ تربوي معاصر. وقد تسنى الشيخ الحاج بتربية جيل تربية متكاملة، وتكوينهم عقليا وجسميا واجتماعيا ونفسيا واقتصاديا وروحيا.

ومن أمثلة أدائه الواجب قبل الدعوة إليه مقولة

الشيخ الحاج هادي توري أحد أتباعه(لازمت

الشيخ الحاج مالك سه تسع سنوات لم تغب عنه صلاة واحدة عن الجماعة، إلا صلا واحدة كان مع كبارتلاميذه في حل المسائل العلمية حتى خرجوا وقد وجدوا الناس قد أدوا صلا تهم في المسجد)

إقامة المساجد والزوايا:

فكم من المساجد والزوايا أقامها الشيخ الحاج مالك تقام فيها الصلوات والشعائر الدينية الأخرى، من ذكر وتلاوة قرآن . فالزوايا التي خلفها الشيخ ثلاثة: وتتوزع في سانلوي، وتواون، وداكار. أما المساجد فلم نعثر بعد إحصاء مناسبا لعددها.

العمل للمعيشة وعدم العالة على الغير: وقد اتخذ الشيخ مزارع لمزاولة مهنة الزراعة لكسب المعيشة.

اللامركزية :

فعملا بالآية الكريمة (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة....) كان الشيخ يعين كل تلميذ وفقه الله سبحانه وتعالى أن يبلغ مبلغ الكمل في العلم والتربية في مناطق تحتاج إلى معلم ومرب وذلك بعد ما أجازه في الشريعة والطريقة. وبهذا الأسلوب تمكن الشيخ من نشر دعوته في مختلف أرجاء السنغال، حتى لا تكاد تدخل منطقة من مناطقها إلا وترى مسجدا أو زاوية يذكر فيها اسم الله في الغدو والآصال.(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)

المولد النبوي الشريف:

إن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم تتبوأ مكانة مرموقة في حياة المتصوفة، ومحبة الشيخ الحاج مالك ـ عليه رضا العزيز المالك ـ للرسول صلى الله عليه وسلم واقتداءه به، جعله يجزل الثناء والمدح عليه، وقد خصص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم ودعوة الناس إلى اتباع سنته الطاهرة في تآلفيه قسما أطلق عليه « المحمديات» و قد نال من مدح النبي إعجابا وقبولا من الناس.

ولقد دعا إلى إحياء مولد النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة مناسبة لتعاليم الشرع الحنيف فقال:

ألا عظموا ليلة الولادة حسبة

ذا لم يكن نحو الحرام عدول

فبدءا من هذا التاريخ (1900) وعلى أغلب الأقوال (1902) أنشأ الشيخ الحاج مالك فكرة الاحياء بالمولد، والتي كان يهدف منها تعليم الأتباع سيرة المختار سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فكانت مناسبة تمثل أسلوب تعليم مفتوح على الأمي والمتعلم وعلى العامة والخاصة، بل ملتقى للتعارف، ولتبليغ الرسالة، وتطبيق أوامر الله، ووسيلة لربط العلاقات بين المسلمين، وفرصة سانحة لتدارس أمور الدين والدنيا وكل ذلك على مبدأ الصفاء والإخلاص والبعد عن المحرمات وفي ذلك يقول الشيخ الحاج مالك رضي الله عنه:

ومولده به شرف وخير

ففي التعظيم إنجاح الشجون

لهذا ولغيره اتخذ الشيخ الحاج مالك هذه الوسيلة من جملة وسائله التربوية. لتبليغ رسالته الدعوية والإصلاحية.

النتائج:

قال تعالى:(رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله)

وقد تخرج من هذا المصدر النوراني والمصنع الرباني نخبة من علماء و أقطاب وزعهم على الجميع الأصقاع السنغالية، والذين اصطبغوا بصبغته، في التربية والتعليم والحكمة والموعظة الحسنة فصاروا أعلاما في الهدى، وأقمارا يستنار بهم في العلم والعمل. وفي الزهد والورع طودا شامخة، بل معراجا للسالكين والعارفين،، بل عباقرة، كلت الألسنة عن نطق مناقبهم والعيون عن وصف مزاياهم، و الفهوم عن إدراك معانيهم. وبعد هذه الجولة معكم أيها القارئ الكريم توصلنا إلى الإدراك بأن مدرسة تواوون في الحقيقة مصدر نور ومصنع رجال.

بقلم الدكتور محمد البشير انغوم.

جهود في سجل التاريخ للأمة المسلمة

إنها للحظات منعشة ممتعة، تفعم القلوب شرفا واعتزازا، وتبعث في النفوس سرورا وحبورا، وتكسو المشاعر جمالا وبهاء، ونحن اليوم نلتقي في رحاب جامعة مجلة الفاتح ، للإبراز والتنويه بجانب مهم من جوانب أعمال وجهود ومواقف أحد فطاحل العلم والمعرفة، وأحد رواد التوجيه والإرشاد والتربية، وأحد رموز الدعوة الاسلامية ألا وهو : الشيخ المرشد العلامة الفهامة الدراكة الشيخ صمب جاني، الذي يتلألأ اسمه في قائمة أعلام الدعاة إلى الله بالمستوي الأعلى، وتنتظم مناقبه في سلك رجال التصوف السني، الذين يجسدون التصوف في أقوالهم وأحوالهم وأفعالهم فأصبحوا بذلك مفاتيح للخير ومغاليق للشر. ذلكم الشيخ الجليل السيد النبيل، من واصل الليل بالنهار للسهر ، والحفاظ، والحرص علي تخليد تراث سلفنا الصالح، بجمع شتات ومتفرقات العلوم مع تدوينها وإظهار دقائقها وتحقيق مخطوطاتها وشرحها ونشرها في كافة الأصعدة، ذلكم السند النزيه والدليل الفقيه، من تكلف العبء الثقيل وتحمل الحمل الجسيم، لإظهار الغوامض من أسرار العلوم و المعارف، ذلكم السميدع المفضال و النحرير المعطاء، من لا يخاف في الحق لومة لائم ولا صولة حاقد، ولا يسئم من عمل البر مهما كلفه من جهد وعناء ومشقة، وفاء لما عاهد عليه الله، ذلكم الرجل المحبوب الذي لا يستعجل جليسه مفارقته لطيب حديثه، وفصل خطابه ودماثة أخلاقه وحسن سيرته وجم كرمه وسعة صدره وعظيم صبره، و جميل سلوكه وكبير تحمله ووقار مظهره.

فكم من مخطوطات في السنغال عالجها بدراسة ودراية وهمة ونية ، حتي استفاد منها القاصي والداني والعاكف والباد ، وكم من دواوين لمشايخ السنغال نشرت بفضل جهوده المتواصلة في تصحيحها وتحقيقها وتبسيطها وتحسينها وتدوينها بجمال خط واضح يسر أعين الناظرين ويثلج صدور الباحثين ويوقد رغبة المفكرين في المطالعة، ويزيد من حب القراء في المدارسة. ذلكم الشيخ من رافق كتاب الله طول حياته قراءة وعملا وتعليما ، وأعاد كتابته عدة مرات تيمنا و تبركا بذلك الخط الجميل الفريد من نوعه، حتي تم التحقق من صحته في جامعة الأزهر الشريف، بعد مقابلة دقيقة ومراجعة جادة ، وهذا بدون شك شرف وفخر عظيمان لأهل القران وخاصته ،

و للسنغال وللقارة الإفريقية وللأمة الإسلامية بأسرها.

أيها الإخوة إذا كنا اليوم نتشرف بإظهار عمل جليل كهذا وأعني به : كتاب الله الذي ﴿لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾

وإذا كنا نتشرف بالإشادة بجهود شيخ كريم فاضل كشيخنا هذا وأعني الشيخ صمب المحبوب لدي الجميع وكان من الذين كرسوا حياتهم في التربية والتعليم.

وختاما نشكر أعضاء جمعية التهذيب والإرشاد الإسلامية علي سعيهم الدئوب منذ نشأة الجمعية لتنفيذ البرامج التي يعدها المرشد الأعلى الشيخ صمب جاني زاده الله توفيقا ومساندة في جميع المواقف.

ونشكر أخيرا كل من حضر وشارك في إنجاح هذا العمل هكذا هكذا وإلا فلا لا

﴿وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمومنون﴾

بقلم أخيكم: خليفة لو

الخطاب الصوفي: بين التأصيل والابتداع

كثر الحديث في السنوات الأخيرة عن التصوف فأصبحنا نسمع أو نقرأ أحكاما وأقوالا تجعلنا نصدر اتهامات عليه دون التحقيق والتقصي العلميين، فنظلم أنفسنا ونظلم غيرنا، وتاريخ المسلمين مشحون بسوء الفهم من جراء الخلاف اللفظي في معزل عن الحقيقة الواحدة المسلمة من أهل الفن، ولو أننا انتهجنا المنهج السليم عند القراءة الصحيحة لكنا في معزل عن الأمراض القلبية من قبيل: التباغض والتشاحن والتشاتم الذي امتلأت به جل كتب التراث واجترته بعض أقلام المقلدة الذين ساقوا كلام الأقدمين دون نقد وتمحيص.

يقول الشيخ القرضاوي في نبذ هذا الاتجاه:» تجد الغلاة دائما يسارعون إلى سوء الظن والاتهام لأدنى سبب، فلا يلتمسون المعاذير للآخرين، بل يفتشون عن العيوب، ويتقممون الأخطاء، ليضربوا به الطبل، ويجعلوا من الخطأ خطيئة، ومن الخطيئة كفرا.

وإذا كان هناك قول أو فعل يحتمل وجهين: وجه خير وهداية ، ووجه شر وغواية، رجحوا احتمال الشر على احتمال الخير، خلافا لما أثر عن علماء الأمة من أن أصل: حمل المسلم على الصلاح، والعمل على تصحيح أقواله وتصرفاته بقدر الإمكان».

ونحن إن كنا نلتمس العذر للأقدمين لكونهم اجتهدوا في دراسة الخطاب الصوفي اجتهادا قاصرا على المباني فأخطئوا في الحكم على المعاني، وأنتج ذلك مقتا لدى بعضهم المتصوف وسلقوا المتصوفة بألسنة حداد بدافع الغيرة على الدين، فإنني لا أجد مسوغا لجل الكتابات المعاصرة ذات النقد الجارح والطعن البذيء للمتصوف وأهله تقليدا للأقدمين في اجتهادهم.

أن التصوف إن كان مستحدثا من حيث لفظه؛ فمعانيه أصيلة في السلوك الإسلامي منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم. فهو ذو جذور إسلامية وأصول نبوية، وأوجه التشابه بينه وبين الفلسفات والأديان غير الإسلامية لا تسوغ البتة تأثره بها أو تفرعه عنها.

يقول الشيخ زروق رحمه الله عليه، في القاعدة التاسعة والثلاثين: «مبنى العلم على البحث والتحقيق، ومبنى الحال على التسليم والتصديق، فإذا تكلم العارف من حيث العلم، نظر في قوله بأصله من الكتاب والسنة وآثار السلف، لأن العلم معتبر بأصله. وإذا تكلم من حيث الحال، سلم له ذوقه. إذ لا يوصل إليه إلا بمثله، فهو معتبر بوجدانه».

وفي القاعدة الأربعين يقول: «ما كان معقولا، فبرهانه في نفسه. فلذلك لا يحتاج لمعرفة قائله إلا من حيث كون ذلك كمالا فيه».

وما زعمه المتحاملون على المتصوفة بأن القوم يفصلون بين الحقيقة والشريعة فيهملون هاته عند إدراك تلك فبهتان وافتراء، لأنهم يقررون التلازم بينهما، ويحرمون الإعراض عن الشريعة، وكيف يكون غير ذلك وهم أكثر علماء الأمة تصنيفا في علوم الشريعة من فقه وأصول وتفسير وحديث وما على ذلك.

بل عند التحقيق يتحصل أن مقالة الصوفية في الحقيقة والشريعة لا يخالف مقالة علماء الأمة من غير المتصوفة، حيث إن الكل متفق على أن الحقيقة هي حقيقة الدين بمعرفة حقيقة الله تعالى تنزيها وتقديسا وهذا هو جوهر التوحيد الخالص، والشريعة هي المنهاج والطريق المفضيات على هذه الحقيقة، يقول الإمام الجنيد:» العلم علمان: علم الربوبية وعلم

العبودية، وأما الباقي فإنه هوس النفس».

ويقول زروق: «فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف، إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولاهما إلا بإيمان، إذ لا يصح واحد منهما دونه. فلزم الجميع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد».

فالخلاف بين المتصوفة وخصومهم خلاف لفظي وليس جوهريا، غاية ما في الأمر أن القوم تعارفوا على كلام مخصوص قائم على الرمزية والإشارية لما لم تسعفهم العبارة، فظنه غيرهم حقيقة فزلت أقدامهم وضلت أحكامهم وانطلقت ألسنتهم بالسوء،

وهو عين ما سطره محي الدين بن عربي في رسالته «اصطلاحات صوفية»، كما نجد الإمام القشيري يقول: «اعلم أن لكل طائفة من العلماء ألفاظا يستعملونها، وقد انفردوا بها عمن سواهم، كما تواطؤوا عليها لأغراض لهم فيها، من تقريب الفهم على المتخاطبين بها، أو للوقوف على معانيها بإطلاقها. وهم يستعملون ألفاظا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب، غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها، إذ ليست حقائقهم مجموعة بنوع من التكلف، أو مجلوبة بضرب من التصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى في قلوب قوم واستخلص لحقائقها أسرار قوم».

أن الفقه والفقر صفتان في الأصل لموصوف واحد، والموصوف بهما هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الأصل في الاتصاف بهما، وترجع الصفتان إلى معنى واحد وحقيقة واحدة.

فالفقه هو الفهم، فبالفهم يكون الفقر، وبالفقر يكون الفهم أي فبالفهم عن الله يكون الفقر إلى الله.

أما ما ينسب إلى المتصوفة من الابتداع في الدين والضلال المبين؛ فليس لذات التصوف، بل لما ورد عليه من سلوكات وأفكار أجنبية عنه، والمتصوفة منها براء، كبعض الطوائف الضالة التي ارتدت شعار التصوف لتنغمس في الشهوات وتأكل الأموال بالباطل وتبيح المنكرات، فحللت الحرام وحرمت الحلال، وهؤلاء ليس من المتصوفة في شيء ولا دثار التصوف بهم يليق.

وإن أبرز من انبرى للكشف عن غرورهم والتحذير من ضلالهم هم المتصوفة أنفسهم، فألفوا في ذلك مصنفات عدة يحذرون فيها من التسربل بالتقوى المزعومة لخداع النفس والغير، الإمام الغزالي في كتابه «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» تكلم فيه عن أصناف المغرورين، وخصص الفصل الرابع والأخير لصنف المتصوفة، وكتاب «الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع» للإمام السيوطي تحدث في مختلف فصوله عن بعض الترهات والبدع التي استحدثها بعض المنتسبين للزهد والتصوف، وعلي بن ميمون الغماري في كتابه:»بيان غربة الإسلام بواسطة صنفين من المتفقرة والمتفقهة من أهل مصر والشام وما يليهما من بلاد الأعجام»، وغيرهم كثير...

ونافلة القول إننا في حاجة إلى مشروع إصلاحي متكامل يجمع بين شخصية الفقيه والصوفي، يركز على جوارح الإنسان التي تضبطها الأحكام الشرعية، وقلب صقلته التجربة الروحية.

كما ندعوا إقامة ندوات فكرية وموائد علمية ومؤتمرات ثقافية يحضرها كبار العلماء المعاصرين من المتصوفة وخصومهم من السلفيين للتحاور وجها لوجه بقصد تصحيح المفاهيم المغلوطة، والكشف عن أصالة السلوك الصوفي وتسليط الضوء على المعاني الإسلامية للمصطلحات الصوفية، وذلك بهدف الحد من هذه الكتب التجارية التي يتفاجيء القارئ المعتدل لما يطبعها من الطعن اللاذع والقذف السليط والتكفير، كل ذلك يثير الفتنة ويزيد الفرقة بين المسلمين والإسلام براء من كل ذلك.

دة. حكيمة شامي

باحثة في التصوف والفكر الإسلامي

أهمية الدائرة في جمع شمل التجانيين

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمان الرحيم

إن للدائرة دورا مهما في تثقيف المنتمين إليها وتعليمهم أمور دينهم من حيث توظيف بعض الأساتذة فيها ووضع برامج تعليمة على حسب المستويات، كاختيار من يقوم بتعليمهم القرآن الكريم وتحفيظهم ما تيسر من سوره مع التركيز على مساعدتهم حتى يتناولوا جميع السور من « البقرة » إلى « الناس » ولو بدون حفظ ثم تعليمهم فرائضهم العينية وتعليمهم الفقه وعلم الحديث والتفسير وشيئا من النحو حتى يتمكنوا من مطالعة الكتب الدينية وفهمها فهما صحيحا.

يقول الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه:

على كل متبوع دلالة تابع

لما هو أجدى لا لجلب عطاء

فتعليمهم فرض ولو بإجارة

وإلا عليك الإثم يوم لقاء

وأول من قام بتأسيس الدوائر هو العارف بالله التقي جدنا الشيخ الخليفة أبوبكر سي رضي الله عنه وذالك لزرع روح التعاون والتكاتف النبيل في قلوب التجانيين، وكان يعرف أن الإنسان وحده لا يمكنه أن يعيش منعزلا عن المجتمع الذي ينتمي إليه، بل هو محكوم عليه أن يسعى إلى الاندماج التام في أهله وإخوانه وجيرانه ووطنه.

فما أحوجنا نحن المسلمين اليوم إلى التأسي برسولنا صلى الله عليه وسلم في العمل بروح الفريق الواحد بدلا من الفردية والأنانية، لأن التعاون على الخير هو سبيل هذه الأمة منذ أشرقت شمس الإسلام، فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ويعمل التعاون على تقوية مشاعر الأخوة والمحبة والاحترام المتبادل وتقبل الرأي الآخر.

قال شيبة الحمد مولانا الشيخ الحاج عبد العزيز سي الدباغ رضي الله عنه:

فالمؤمنون كلهم إخوان لا ينبغي بينهم العدوان

وكل مؤمن رأيتم عظموا حرمته رضى الله تغنموا

قال الشاعر:

الناس للناس من بدو ومن حضر

بعض لبعض وإن لم يشعرن واخدم

وقال الآخر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا

وإذا افترقن تكسرت آحادا

قد أقيمت التجانية على ركيزة من الألفة والمحبة والصفاء والود وإخلاص السريرة بين طيات قلوب الأفراد والمجتمع، ولقد كان لهذا أثره المحسوس في سرعة الامتزاج والاندماج بين المريدين في مظهر الإخاء الكامل الذي كان له السمات البارزة في القضاء على الفوارق الاجتماعية وإزالة الحواجز النفسية والموانع العصبية بين أتباع الطريقة جميعا، والأساس الذي قام عليه هذا التعاون هو قوله عز وجل: إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون. الحجرات، 10

وعلى هذا الأساس يشعر المريد في ظل دائرته بتحمل التبعات والمشاركة في الأزمات إزاء أخيه المسلم الذي يعيش معه في مجتمع واحد تربطه وحدة العقيدة ووحدة المصالح والأهداف.

ومما تهتم به الدائرة أيضا:

جمع التبرعات من أفرادها شهريا، وبذلك تتم مكافأة الأساتذة ومساعدة المحتاجين والفقراء، فيُفتح « حِسَابٌ بَنْكِيٌّ » لجمع المساهمات الشهرية وجعلها في خدمة أفرادها الذين ضاق عليهم الزمن فيقضوا بها بعض حاجاتهم اليومية من اشتراء القوت ومعالجة المرضى الذين يوجدون في المستشفيات مع صعوبة دفع المبالغ المسؤولة من قبل الأطباء.

وكذلك تقديم يد المساعدة إلى المدينين لسداد ديونهم، فمن الناس من يضطر أحيانا إلى أخذ الدين ثم تجده غير متمكن على سداده، وذلك للظروف القاسية التي تلاقيه. يقول الله سبحانه وتعالى: وتعاونوا على البر والتقوى. سورة المائدة، 02، وهذا من البر الذي يرضى الله عنه.

أنا لا أرى بعد القيام بالفرائض عبادة فُضلى من مدّ يد العون إلى المحتاجين، ويدخل ذالك في ضمن المقصود من قوله تعالى: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات. فالصالحات لا تقتصر فقط على قيام الليل وكثرة الصوم، وإنما تتعداها إلى أبعد من ذالك.

وأما من اعتقد بأنه يستطيع أن يستقل بنفسه ولا يشارك الآخرين في تحقيق مصالح إخوانه، ولا ينضم إلى الدوائر ولا يعود المرضى ولا يطعم المساكين ولا ينظر إليهم بعين الرحمة، فهو مغرور يصادم منطق الحياة وطبيعة البشر الناقصة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من فرج عن أخيه المؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر على المسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله تعالى في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. اهـ

فلو أدى المسلمون الزكاة كما أمر تعالى لما وصل الفقر إلى هذه الدرجة من الانتشار، لأن فيها تكافلا اجتماعيا بين الغني والفقير يعجز اللسان عن مدحه.

ومن دورها أيضا التجمع الأسبوعي أو الشهري:

تجمع أعضاء الدائرة أسبوعيا أو شهريا واختيار موضوع للتحدث عن الأخلاق الفاضلة التي يحثنا

الله تعالى ورسوله على مواظبتها مثل الصدق والعدل وبر الوالدين وعن الأخلاق الذميمة التي ينبذها الله تعالى مثل الكبر والكذب والحسد. وبعد الفراغ من المحاضرة يفتح المجال لطرح الأسئلة الدينية ويقوم المحاضر بالإجابة عنها. وقبل انتهاء الجلسة يتم اختيار المستضيف للتجمع المقبل.

إقامة مولدٍ نبويٍّ في كل سنة:

تجتمع الدوائر التي تحمل نفس الاسم- بفروعها المختلفة- ويختارون مدينة معينة لإحياء ليلة نبوية يتحدثون فيها عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ومعاملاته الطيبة مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم وعن أخلاقه الحسنة لكي يقتدوا به صلى الله عليه وسلم، فهو الذي مدحه ربّه تعالى في كتابه العزيز فقال: وإنك لعلى خلق عظيم. فالأخلاق الحسنة هي التي توزن بها قيمة المرء ومكانته في المجتمع الذي يعيش فيه وقربه من ربه تعالى.

التربية على الوسطية:

تهتم الدائرة بإثبات روح الوسطية في أفكار الشباب وعدم التشدد في الدين، فهم رجال الغد ومرآة المستقبل، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الوسطية وعدم المغالاة في الدين.

يقول الله تعالى: وكذالك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس. سورة البقرة، 143

ويقول أيضا: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذالك سبيلا. الإسراء، 110

ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط. الإسراء، 29

هذه الآيات تدعونا إلى الوسطية في كل شيء حتى في العبادة، فلا إفراط ولا تفريط. فإن لنفسك عليك حق ومبالغتك في قيام الليل مثلا تورث في نفسك الملل، ولذالك ثبت في الأثر أن أفضل الأعمال إلى الله أدومها. فصلاة العبد ركعتين في كل ليلة نافلة لله تعالى خير من أن يصلي مائة ركعة في كل ليلة لمدة أسبوع ثم يتركها، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: الدين يسر فأوغلوا فيه برفق.

الدعوة إلى العمل والسعي لكسب الرزق:

تدعو الدائرة إلى الحث على العمل والسعي لكسب الرزق لكي يكون المسلم في مجتمعه منتجا فاعلا بدلا أن يكون عالة على المجتمع، ويساهم ذالك في توفير حياة كريمة له ولأهله وفي قوة المجتمع الإسلامي وازدهاره.

يقول الله سبحانه وتعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله. سورة الجمعة، 09 فالآية صريحة في الإذن للناس بالبيع والشراء، والتجارة بعد الانتهاء من صلاة الجمعة بهدف الحصول على الربح والتماس فضل الله بالسعي والعمل.

روى البخاري في صحيحه عن المقدام بن معد يكرب الكندي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وأن نبيّ الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده. والحديث صريح في تفضيل العمل واستحبابه، وأن يأكل المسلم من عمل يده وإن ذالك خير له من الأكل الذي يحصل عليه من سؤال الناس واستعطافهم.

وهذه الفضائل المجسدة في هذه الدوائر هي السمة الواضحة التي تدل على أن المجتمع التجاني قد شب عن المرحلة الفردية الضيقة، وبلغ الأفق الاجتماعي الرحيب الذي يسعد فيه أفراده بالخلق الرفيع والتكافل السمح، ولقيت هذه الأخلاق العالية في المجتمع الإسلامي ظلالها من السخاء والكرم والجود والتعاون، فكان المسلم يخرج من أطيب ما يملك في سبيل الله.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أدعو الله لإخواننا الكرام أعضاء جمعية الفاتح بصلاح الدارين وأن يكثّر الله من أمثالهم الذين يقتفون آثار الأجداد الذين قضوا حياتهم كلها في رفع راية الإسلام ونصرة الدين المحمدي صلى الله عليه وسلم من أمثال الشيخ الحاج مالك سي رضي الله عنه، لا زالت أنوار الله سبحانه وتعالى تتنزل على روضته الشريفة.

أكتفي بهذا القدر خوفا من الإطالة، وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته
اعداد: أخوكم محمد المصطفى سي
الحاج مالك عبد العزيز

إِلَى هُمَامٍ أَدِيبٍ عَالِمٍ فَطِنٍ

الحمد لله، والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم الناصر الهادي إلى صراط الله المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

وبعد:

إن الشيخ عبد العزيز ود جني المغربي، ذلك الداعي الكبير، والمربي الحصيف، زار جمعية الفاتح بمدينة تواوون المحروسة، بتاريخ/29/يوليو/ 2019م الموافق 1441هجري، وذلك بعد ما التقى مع الشيخ الحاج مالك فال في مؤتمر صوفي في المغرب، نتج عن ذلك رغبته الأكيدة في زيارة السنغال وخاصة» جمعية الفاتح» وشاء القدر أن حل أرض السنغال لغرض إلقاء محاضرة في جامعة شيخ أنت جوب بدكار، وانتهز الفرصة للقاء مع أعضاء «الفاتح» ، فرحبوه بأحسن ترحيب في مقر الجمعية بتواوون، وفسحو له المجال ليقدم محاضرة قيمة في الذكر وأهميته، وقام بها الشيخ بطابع علمي صوفي مميز، ــ جزاه الله عن خدمة العلم والدين خير الجزاء ــ. وقد كانت أمسية علمية ودية فتحتها بهذه التائية البسيطة للترحيب به والتي أقول في مطلعها:

نَـزُفُّ أَسْـمَى التَّهَانِـى وَالتَّحيَّـات ... لِصَاحِـبِ الْقَـدْرِ مَخْصُـوصِ الْكَرَامَـاتِ

تَحيَّـةٌ مِـنْ صَمِيـمِ الْقَلْـبِ أَطْيَـبُ مِـنْ ... نَشْـقِ الْعَبِيـرِ تُضَاهِـي عَـرْفَ مِسْـكَاتِ

تَحيَّـةٌ مِـنْ صَمِيـمَ الْقَلْـبِ أَطْيَـبُ مِـنْ ... نَشْـرِ الزَّوَاهِـرِ فِـى أَكْمَـامِ رَوْضَـاتِ

تَحيَّـةٌ مِـنْ صَمِيـمَ الْقَلْـبِ أَزْيَـنُ مِـنْ ... عِقْـدِ الزَّبَرْجَـدِ فِـى جِيـدِ الْخَرِيـدَاتِ

إِلَـى هُمَـامٍ أَدِيـبٍ عَالِـمٍ فَطِـنٍ ... قَـدْ زَارَنَـا الْيَـوْمَ مِـنْ بُعْـدِ الْمَسَـافَاتِ

يَـا مَرْحَبًـا مَرْحَبًـا بِالضَّيْـفِ إِنَّ لَـهُ ... مِنَّـا عَظِيـمَ احْتِـرَامٍ مَـعْ سَـلَامَاتِ

فَبَهْجَـةٌ فِـى مُحَيَّـاهُ قَـدُ ارْتُسِـمَتْ ... إِنَّ الظَّوَاهِـرَ عُنْـوَانُ الْخَفِيَّـاتِ

إِنَّـا نُرَحِّبُـهُ وَالْقَلْـبُ ذُو فَـرَحٍ ... مِـنَ الْمَجِـيءِ لَـهُ كُلُّ الْبُشَـارَاتِ

أَحْسَـنْتُمُ جِـدَّ سَـيْرٍ فِـى وِصَالِكُـمُ ... حَبْـلَ الْأُخُـوَّةِ مِـنْ جَلْـبِ الْمَـوَدَّاتِ

أَرْضَ التِّـوَاوُنِ نِلْـتِ الْيَـوْمَ مَفْخَـرَةً ... مِـنْ نَيْـلِ ضَيْـفٍ صَفِـيِّ الْخُلْـقِ وَالـذَّاتِ

لِلَّـهِ خَالِـقِ أَرْوَاحٍ مُجَنَّـدَةٍ ... قَبْـلَ الْوُصُـولِ إِلَـى دَارِ الْمَشَـقَّاتِ

فَمَـا تَعَـارَفَ مِـنْ أَرْوَاحِنَـا ائْتَلَفَـا ... وَمَـا تَنَاكَـرَ مَمْنُـوعُ اتِّصَـالَاتِ

قَـدْ زُرْتَ رَوْضَـةَ شَـيْخِ الْحَـاجِّ مَالِكِنَـا ... أَبْنَائِـهِ الْغُـرِّ أَرْبَـابِ الْفُتُوحَـاتِ

لَا شَـكَّ مَـنْ زَارَهُـمْ يَحْـوِى مُنَـاهُ وَقَـدْ ... حُـزْتَ الْمَطَالِـبَ مَـعْ نَيْـلِ الْعَطِيَّـاتِ

فَاللَّـهُ يَمْنَحُكُـمْ سِـتْرًا وَمَغْفِـرَةً ... حُسْـنَ الرِّعَايَـةِ فِـى غُـدْوٍ وَرَوْحَـاتِ

وَيَسَّـرَنْ كُلَّ عُسْـرٍ مِـنْ زِيَارَتِكُـمْ ... وَيَسْـتُرُ الْعَيْـبَ يَقْضِـى كُلَّ حَاجَـاتِ

وَنَيْـلَ عِـزٍّ وَتَكْرِيـمٍ وَتَرْقِيَـةٍ ... مَـعَ التَّقَـدُّمِ فِـى ظِـلِّ السَّـعَادَاتِ

وَلَـنْ تَـزَالَ مُنِيـرًا كُلَّ آوِنَـةٍ ... كُلَّ الْغَيَاهِـبِ مَرْفُـوعَ الْمَقَامَـاتِ

تَفُـوزُ هَنَّـا وَهِنَّـا دُونَمَـا تَعَـبٍ ... عَبْـدَ الْعَزِيـزِ وَتَنْجُـو مِـنْ رَزِيَّـاتِ

بِجَـاهِ أَحْمَـدَ مَـنْ أَسْـرَى الْإِلَـهُ بِـهِ ... فَـوْقَ الْبُـرَاقِ إِلَـى أَعْلَـى الطِّبَاقَـاتِ

بقلم أخيكم محمد المنير انغران التواووني.

وَيُشْبِهُ فِي الْمَيْدَانِ قَائِدَ أُمَّة

إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه قصيدة مرثية كتبها عبد العزيز صار للتعبير عن مشاعر الحزن والأسى المتأثرة برحيل أمين عصره وحافظ ذمّة ربّه تعالى الشيخ العارف بالله السّيّد عبد العزيز سه الملقّب ب(الأمين). فنسأل الله العلي القدير أن يسكنه جنّته الأعلى بجوار والده الكريم الشيخ أبي بكر سه وجدّه الصّميم الشيخ الحاج مالك سه مع الذي أنعم الله عليه من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا,وقلت في بحر الطويل ,وما توفيقي إلا بالله وعنوان القصيدة هو : (باقة التكريم والوفاء)

ذَرَفْتُ دُمُوعَ الْجَفْنِ حُزْنًا لِغَائِبِ ... كَرِيمِ رَفِيعِ الْقَدْرِ جَمِّ الْمَنَاقِبِ

وَلِيٍّ مُرَبٍّ فَرْدِ عَصْرٍ مُعَلِّمٍ ... لأُمَّتِهِ شَيْخٍ كَثِيرِ الْمَوَاهِبِ

فَقَامَ عَلَى أَمْرِ الشَّرِيعَةِ مُصْلِحًا ... يَشُقُّ لَيَالِي الْجَهْلِ جِدِّ الْغَيَاهِبِ

سَجَايَاهُ مِنْ نُورِ الْخَلِيفَةِ طَلْعَةٌ ... تَمُدُّ سُلُوكَ الرُّشْدِ فِي كُلِّ جَانِبِ

فَدَاهَمَنَا نَعْيُ الْأَمِينِ بَلِيَّةً ... أَلَمَّتْ بِنَا كَحَرْقِ نَارِ اللَّوَاهِبِ

يُوَدِّعُنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ وَطَالَمَا ... يُبَشِّرُ أَقْوَامًا بِسَرْدِ الْمَذَاهِبِ

مَزَايَاهُ فِي الْإِصْلَاحِ طَارَتْ جَلِيَّةً ... كَمَا نَالَ فِي التَّخْطِيطِ سِرَّ الْعَجَائِبِ

فَأَعْمَالُهُ نَشْرُ الْفَضَائِلِ مِنْحَةً ... إِلَى جُمْلَةِ الْإِخْوَانِ دُونَ التَّغَاضُبِ

مَسَاعِيهِ دَامَتْ أَنْ تَعِيشَ بِلَادُنَا ... عَلَى رَاحَةِ الْبَالِ وَنَبْذِ التَّعَاصُبِ

وَيَكْرَهُ فَوْضَى فَالنِّظَامُ طَرِيقُهُ ... وَكَمْ هَدَّأَ الْأَوْضَاعَ وَقْتَ التَّضَارُبِ

وَعَاشَ عَلَى تَوْطِيدِ أُسٍّ أَقَامَهُ ... أَجِلَّتُهُ الْأَعْلَامُ فِي كُلِّ لَاحِبِ

وَكَانَ يَمِينَ الْقُطْبِ وَالِدِهِ فَتًى ... تَمَائِمُهُ مَازَالَ فَوْقَ التَّرَائِبِ

أَفَاضَ عَلَيْهِ بِالْعِنَايَةِ فَيْضَةً ... بِأَسْرَارِهِ الْمِدْرَارِ مِثْلَ السَّحَائِبِ

تَدَرَّجَ فِي سَيْرِ الْخِلَافَةِ مُخْلِصًا ... أَمِينًا إِلَى أَنْ نَالَ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

وَحَازَ رِضَاهُ مِثْلَمَا حَازَ بِالرِّضَى ... بِآبَائِهِ وَالْإِخْوَةِ بِالتَّنَاوُبِ

فَلَمَّا دَعَا لَبَّى النِّدَاءَ زَمَانُهُ ... بَنُو عَصْرِهِ طَوْعًا لِنَيْلِ الرَّغَائِبِ

وَيُشْبِهُ فِي الْمَيْدَانِ قَائِدَ أُمَّةٍ ... يُهِيبُهُمُ فَوْرًا لِصَدِّ الْمُحَارِبِ

فَوَجَّهَ بِالْأَتْبَاعِ تَوْجِيهَ مُشْفِقٍ ... لأُمَّتِهِ بِالْعَزْمِ بَيْنَ الْكَتَائِبِ

يُرَبِّي بَصِيرًا بِالْعُيُوبِ لِعَصْرِهِ ... يُعَالِجُهَا مِثْلَ الطَّبِيبِ لِطَالِبِ

وَكَمْ نَكْبَةٍ حَلَّتْ عَلَى الشَّعْبِ كَرَّةً ... فَزَحْزَحَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمُرَاقِبِ

وَسَوَّى جَمِيعَ الشَّعْبِ عَطْفًا وَرَحْمَةً ... يُخَفِّفُ عَنْهُمْ صَدْمَةً مِنْ مَصَائِبِ

وَمَدَّ يَدًا بِالْبِرِّ لِلنَّاسِ عَامَّةً ... يَشُدُّهُمُ نَحْوَ الْإِخَا وَالتَّحَابُّبِ

يَؤُمُّ ذَوُو الْحَاجَاتِ سَاحَةَ دَارِهِ ... فَيَمْنَحُهُمْ خَيْرَ الْمُنَى وَالرَّغَائِبِ

مَشَائِخُنَا فِي دَارِهِ مِثْلَ دَارِهِمْ ... يَبَرُّ بِهِمْ بِرَّ السَّخِيِّ الْمَوَاهِبِ

يُدَافِعُ بِالْأَشْيَاخِ حُبًّا وَحُرْمَةً ... وَيَمْدَحُهُمْ عِنْدَ اللِّقَا فِي الْمَوَاكِبِ
وَكَمْ رَدَّ شُبْهًا وُجِّهَتْ نَحْوَ مُسْلِمٍ ... وَفَنَّدَهَا جَهْرًا أَمَامَ الْمُشَاغِبِ
وَكَمْ هَجْمَةٍ اسْتَهْدَفَتْ شَيْخَ نَهْجَةٍ ... فَقَاوَمَهَا لَيْثًا شَدِيدَ الْمَخَالِبِ
وَكَانَ لِنَهْجِ الشَّيْخِ طَوْدًا وَفَارِسًا ... يُطَارِدُ بِالْجُنَاةِ أَهْلَ الْأَكَاذِبِ
وَيَنْشُرُ لِلْإِسْلَامِ رَايَتَهُ عُلَا ... تُخَفِّقُ مَرْفُوعًا عَلَى كُلِّ هَاضِبِ
يُبُثُّ حَدِيثًا فِي الْمَجَالِسِ بَاحِثًا ... دَقِيقًا طَوِيلَ الْبَاعِ حُلْوَ الْمَشَارِبِ
وَكُلُّ لِقَاءٍ يَرْفَعُ الدِّينَ أُمَّتَهُ ... وَطَافَ عَلَى الْقَارَاتِ رَغْمَ الْمَصَاعِبِ
لِإِطْفَاءِ شَرٍّ دَائِرٍ بَيْنَ إِخْوَةٍ ... وَذَبِّ هُجُومٍ هَادِفٍ بِالْمَذَاهِبِ
وَكَمْ قَادَ لِلْإِسْلَامِ وَفْدًا مُنَاضِلًا ... لِبَحْثِ حُلُولٍ مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ
وَسَارَ عَلَى نَهْجِ الْكِرَامِ مُحَافِظًا ... مَحَارِمَهُمْ حِفْظَ الْأَمِينِ الْمُرَاقِبِ
وَأَحْيَا تُرَاثَ الدِّينِ فَهْوَ أَمَانَةٌ ... يُدَاوِلُهَا جِيلٌ لِجِيلٍ مُقَارِبِ
وَحَافَظَ بِالْآثَارِ كَنْزًا فَلَمْ يَضِعْ ... وَصَنَّفَهَا تَصْنِيفَ حَبْرٍ وَكَاتِبِ
فَمَنْ مِثْلُهُ يَبْنِي الْمَعَاهِدَ فَاتِحًا ... مَسَاجِدَ لِلْإِسْلَامِ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ
وَمَنْ مِثْلُهُ فِي الْجَهْرِ بِالْحَقِّ جَابِرًا ... كَسِيرًا وَمَنْكُوبًا فَقِيدَ الْأَقَارِبِ
وَمِنْ مِثْلُهُ يَهْدِي السِّيَاسَةَ إِنْ عَمَتْ ... قِيَادَاتُهَا عِنْدَ انْغِلَاقِ الْمَذَاهِبِ
وَمَا أَحَدٌ فِي الْعَصْرِ مِثْلَكَ دَاعِيًا ... وَحَمَّالَ كَلِّ النَّاسِ عِنْدَ الْمَصَاعِبِ
فَمَنْ مِثْلُهُ يُمْلِي الدَّوَائِرَ دِينَهُمْ ... وَيُوصِيهِمُ سَيْرًا وَطِبْقَ الْمَنَاقِبِ
إِلَهِي فَاجْزِ الْخَيْرَ عَبْدَكَ رَاقِدًا ... لَدَى رَوْضِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ الْمُنَاخَبِ
وَيَلْقَى مَعَ الشَّيْخِ الْخَلِيفَةِ بَاسِمًا ... لَدَى جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ دَارِ الْأَطَايِبِ
سَعِيدًا وَمَسْرُورًا مُجَازَى بِكُلِّ مَا ... إِلَى الْخَلْقِ قَدْ أَسْدَى رَجَاءَ الْمَوَاهِبِ
أَطِلْ رَبَّنَا عُمْرَ الْخَلِيفَةِ مُنْجِزًا ... مَشَارِيعَهُ مُوَفَّقًا فِي الْمَطَالِبِ
سَرِجْ مُبَيِّ سِهْ مَنْصُورْ صِيتُهُ الصِّدْقُ وَالْوَفَا ... فَلَا زَالَ يَرْقَى لِلْعُلَى بِالْمَرَاتِبِ
وَيَحْيَ طَوِيلَ الْعُمْرِ يُنْجِزُ بِالْمُنَى ... مَعَ الْإِخْوَةِ أَنْصَارِهِ فِي الْمَكَاسِبِ
وَخُصَّ لِأَبْنَاءِ الْفَقِيدِ عِنَايَةً ... مِنَ الْعُمْرِ مَمْدُودًا وَنَيْلَ الْمَآرِبِ
صَلَاةٌ وَتَسْلِيمٌ عَلَى شَافِعِ الْوَرَى ... مُحَمَّدَ الْمُخْتَارِ مِنْ خَيْرِ عَارِبِ
مَعَ الْآلِ وَالصَّحْبِ الْكِرَامِ وَمَنْ قَفَى ... بِآثَارِهِمْ مِنْ مَشْرِقٍ أَوْ مَغَارِبِ

عبد العزيز صار كاتب الشيخ محمّد المنصور سه (بروم دارجي)
وأستاذ باحث في المدرسة الثانويّة العامّة
بمدينة تواوون المحروسة

قصيدة:

تَبْكِي الْكِرَامُ عَلَيْكِ يَا سِنغَالُ

بسم الله الرَّحْمَان الرَّحِيم وصلّي بالله على سيِّدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما، فهذه قصيدة لامية قالها عبيد ربّه عثمان عمر نيانغ معبِّرًا فيها عن أسفه ممّا يعانيه شبابُ هذا الجيل من انحطاط الأخلاق ومطلعها :

تَبْكِي الْكِرَامُ عَلَيْكِ يَا سِنغَالُ ... تَنْتَابُكِ النَّكَبَاتُ [1] وَالأَهْوَالُ

يَبْكِي فَظَاعَةَ[2] مَاعَرَاكِ ذَوُوالنُّهَي ... أَسَفًا مِمّا اِنْقَلَبَتْ عَلَيْكِ الْحَالُ

قَبْلاً تَقُودُكِ لِلسَّعَادَةِ قَادَةٌ ... أُمَنَاءُ فِيهِمْ لِلشُّعُوبِ مِثَالُ

بِأَمَانَةٍ وَنَجَابَةٍ وَاُخُوَّةٍ ... قَدْ سَاسَ نَادِي قَوْمِكِ الأَقْيَالُ[3]

وَرَزَانَةٌ وَثَقَافَةٌ بِفُنُونِهَا ... لِشَبَابِ شَعْبِكِ فِي الْقَدِيمِ خِصَالُ

بِعَدَالَةٍ وَدَمَاثَةٍ [4] وَشَجَاعَةٍ ... وَقَنَاعَةٍ يَزْدَانُ فِيكِ رِجَالُ

بِنَصَائِحٍ وَتَسَامُحٍ وَتَآلُفٍ ... وَتَعَاوُنٍ تَتَكَامَلُ الأَجْيَالُ

بِبَصِيرَةٍ تَطْوِي عُلُومًا تُنْتَقَى ... وَبَسَالَةٍ تَتَقَدَّمُ الأَبْطَالُ

فَالْيَوْمَ نَابَ عَنِ الْخِصَالِ نَقِيضُهَا ... وَحَضَارَةٌ دُونَ الصَّلاَحِ مُحَالُ

فَالْجَوْرُ فِي نَادِيكِ خَلْفَ عَدَالَةٍ ... وَعَلَى رِئَاسَةِ قَوْمِكِ الأَرْذَالُ

تُرْضِي قُضَاةَ السُّوءِ رَشْوَةُ ظَالِمٍ ... وَيَضِيعُ لِلْمَظْلُومِ حَقًّا مَّالُ

فَالْمُومِسَاتُ تُصَانُ بُغْيَةَ ثَرْوَةٍ ... وَكَذَا يُبَجَّلُ أَغْنِيَا أَنْذَالُ[5]

فَالْجَاهِلُ الْفَدْمُ [6] الْغَنِيُّ مُكَرَّمٌ ... لِلْعَالِمِ الْفَطِنِ الْفَقِيرِ نَكَالُ[7]

بِخِيَانَةٍ بَدَلَ الأَمَانَةِ يُقْتَدَى ... وَعَلَى الْغَوَايَةِ نَسْجُهَا الْمِنْوَالُ

وَغَدَى الزِّنَى لاَ بَاْسَ فِيهِ لِبَعْضِهِمْ ... وَبَنُوهُ عَظَّمَ شَأْنَهُمْ أَمْوَالُ

وَكَحِرْفَةٍ أَخَذَ الدَّعَارَةَ أَهْلُهَا ... وَأَبِي الدَّعَارَةَ طَيِّبٌ وَحَلاَلُ[8]

وَيَرَى شُبَّانُكِ فِي الْوَقَاحَةِ هَيْبَةً ... وَفَظَاظَةً مِنْهُ الْكَبِيرُ يَنَالُ

وَتَـرَي بَنَاتُـكِ فِـي التَّبَخْتُـرِ رِفْعَـةً ... وَالـذَّكَاء فِـي سُـوءِ اللِّسَـانِ تَخَـالُ

وَأَمِيـنُ سِـرٍّ فِـي الْمَكَاتِـبِ شَـابَّةٌ ... فِـي خَلْـوَةٍ بِالأَجْنَبِـي تَخْتَـالُ

وَقَرَابَـةٌ لِبَنِيـكِ لُحْمَـةُ ثَـرْوَةٍ ... وَلِلُحْمَةِ الأَنْسَابِ – وَيْكِ – خَبَالُ

وَتِجَـارَةٌ غِـشٌّ، الْبَضَائِـعِ أُسُّـهَا ... وَنِكَايَـةٌ وَخِلاَبَـةٌ وَجِـدَالُ

وَلِشُـهْرَةٍ سَـلَكَ الْمَوَاعِـظَ خَامِـلٌ ... مُتَفَيْهِـقٌ لِلأَغْنِيَـا يَحْتَـالُ

وَيَـرَوْنَ ضَيْـعَ الْوَقْـتِ حُسْـنًا بَيْنَهُـمْ ... وَالْحِبْـرُ فِـي نَادِيهِـمُ الْقَـوَّالُ

وَمَسَـاجِدٌ فِيهَـا الإِمَامَـةُ نَخْـوَةٌ ... دَاءُ ادِّعَـاءِ الْعِلْـمِ فِيـكِ عُضَـالُ

وَالْفِسْـقُ مَـعْ دَعْـوَي الْعُلُـومِ غَبَاوَةٌ ... أَوَ فِـي انْتِفَـا قِيَـمِ الْكِـرَامِ كَمَـالُ ؟

تِلْـكَ الرَّزِيَّـةُ لاَ رَزِيَّـةَ مِثْلَهَـا ... مَـا الْحَـلُّ؟ أَعْيَـي الأَذْكِيَـاءَ سُـؤَالُ

أَوَ فِـي الـذِي قَوْمِي ذَكَـرْتُ كَرَامَةٌ؟ ... أَمْ لِلَّبِيـبِ مَـعَ الضَّـلاَلِ جَمَـالُ ؟

قَـادَ الْكَرِيـمُ إِلَـي الرَّشَـادِ شَـبَابَنَا ... بِاللُّطْـفِ يَحْلَوْلِـي هُـدَاهُ عِيَـالُ

أَزْكَـي سَـلاَمَيْ خَيْـرِ مُعْـطٍ عَبْـدَهُ ... كَرَمًـا نَعِيمًـا دُونَـهُ الأَمَـالُ

يَحْظَـي بِطِيبِهِمَـا النَّبِـيُّ وصَحْبُـهُ ... وَجَمِيـعُ تَابِـعِ صَحْبِـهِ وَالْئَـالُ

الهوامش:

1 النَّكْبَةُ: بالفتح والنكْب المُصيبةُ مِنْ مَصائبِ الدَّهْرِوجمع الأول النكبات والثاني النكوب اللسان والتاج مادة نكب

2 فَظُعَ الأَمْرُ، ككَرُمَ، فَظاعَةً: اشتَدَّتْ شَناعَتُه، وجاوَزَ المِقدارَ القاموس المحيط ممزوجا بتاج العروس ج 11 ص 347 واللسان ج ٨ ص 254

3 القَيْل المَلِكُ من ملوك حمير الجمع أقيال تاج العروس ج ١٥ ص 645 والمراد هنا كرام الأجداد

4 دمث: دَمَثاً، فَهُوَ دَمِثٌ: لانَ وسَهُلَ. والدَّماثَةُ: سُهولةُ الخُلُق. اللسان والتاج مادة دمث

5 جمع النَّذْل وهو الَّذي تزْدَريه فِي خِلقتِه وعقله ، كالنذيل تاج العروس، لسان العرب مادة ن ذ ل

6 الفَدْمُ: العَيِيُّ عن الحُجَّةِ مع ثِقَل ورَخاوَةٍ وقِلَّةِ فَهْم. وهو أَيْضاً: الغَلِيظُ السَّمِينُ الأَحْمَقُ الجافِي، وقد يقال فيه ثُدُم بالثاء بَدلا من الفاء، والجَمْعُ: فِدامٌ، والأُنْثَى فَدْمَةٌ وثُدْمَةٌ، والفعل منه ككَرُم فَدُمَ فَدامَةً، وفُدُومَةً ككرامة وسهولة المحكم والمحيط الأعظم مادة ف د م

7 من نكّل بفلان: إذا صنع بِهِ صنيعا يحَذِّر غَيره مِنْهُ إِذا رَآهُ.

8 إشارة إلى قوله تعالى وكلوا ممّا فى الأرض حلالا طيّبا

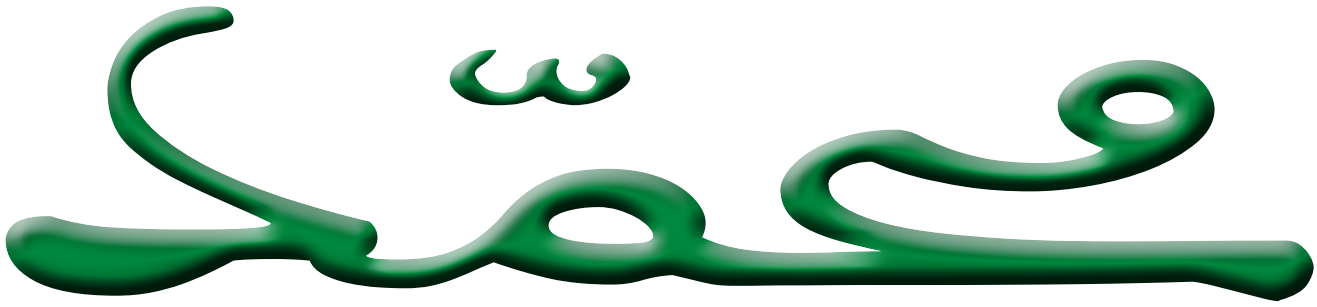

محمد

من وسم بهذا الاسم محبوب، وحروف كلماته تدوّي في أرجاء هذا الكون صبحا ومساء، غربا وشرقا،يصدح به في قمم الجبال وقيعان الوديان، وفي أقاصي المدن، وربوع الأرياف «***ورفعنا لك ذكرك..***»، لا يمل ذاكروه من طول الترديد ومن كثرة التكرار على إعادة النطق والتفوه به، كلما عنّ لهم ذلك، أو جدّ حدث، يعيد إليهم ذكريات صفاته وأعماله وأخلاقه، وما من اسم يطرب ويحلو في أسماعهم سماعه مثل هذا الاسم،إنهم يتلقونه ويستبقون ذكر الباقي من الاسم كلما بادر قائلهم بالشروع في الحديث عنه، وبإمتاع القلوب بسيرته، إنه محمد.

شأنه، شأن نظراءه من الأنبياء والمرسلين، لم يفرضوا وجودهم على قومهم أو على من عاصروهم، ولم يستخدموا أي وسيلة عنف أو إكراه أو إرغام للتخلخل إلى النفوس، ولم يستجيروا بالخدع الخفية، والألاعيب المكتومة، والحيل السحرية، أو وكالات التشهير والترويج لكسب ود الناس لهم، أو تحويل أنظارهم نحو ذواتهم وشخوصهم، خرجوا من عالمنا، كما دخلوا فيه، غير مكترثين بتكثير الجماعات السائرة وراءهم، الهاتفين باسمهم، آثروا البقاء في السر، ولولا الرسالات والمهمات التي كلفوا بها لقلنا بأنه هو وأمثاله كانوا طيف سراب، أو عابري سبل، مروا من هنا ورحلوا، بيد أنه محمد.

بساطته في الحياة، ودماثة أخلاقه مع الجميع، وسلاسة طبعه، مع خفة روحه، وبشاشة وجهه، مع تهلل محياه، أوجدت للتواضع عنوانا، وسخاؤه وجوده على الآخرين — وهو محتاج — أعطى للكرم معنى، لم يكنز ذهبا ولا فضة، ولم يجمع مالا ولا خيلا، بيته من مدر بُنِيَ، وحصيره من سعف النخيل نُسِجَ، ونعله صُنِعَ من جلد مخصوف، لم ينهر سائلا، ولم يقهر مسكينا، يبيت طاوي البطن، خالي الوفاض، حياؤه يُحرجُ العذارى، وعطاؤه يُخجِل البحر والوبل، إنه محمد.

ورّث أتباعه ومحبيه أخلاقه الكريمة، وشمائله الشريفة، وسجاياه العظيمة، وفي طلعته التي لم تدم أكثر من ستة عقود ونيف، استطاع وضع اللبنات الأخيرة، واللمسات النهائية في صرح «الخُلُق العظيم» ليكتمل المبنى، أثبت بقدومه أن أغلى عنصر في الكون ينبغي الاعتناء والاهتمام به هو العنصر البشري، وأن أنفس ما يجب أن يعنى به في هذا العنصر البشري هو أخلاقه وسلوكه، غير مجرى التاريخ والمصير الإنساني برسالته، ووضع حدا للحروب العبثية والنزاعات العقيمة، وأنقذ الإنسانية من الدمار الشامل، وكان بذلك أعظم ثائر عرفه التاريخ البشري، إنه محمد.

لا شيء يضاهي في الأرض عالمية اسمه، ففي كل الشعوب والأعراق، وفي كل المناطق والبلاد، يتيامنون بإطلاق اسمه «محمد» على أعز ما يولدون، ويرون كلّ إيجابية في سلوك أو فعل يصدر منهم؛ من بركات ويمن صاحب هذا الاسم، ويشتق الآخرون، أو يحرفون قليلا أو كثيرا من طريقة نطقهم لهذا الاسم، أو ينحتون من حروفه الأربعة «***م ح م د***»، أسماء أخرى، لم يَكِفْ بعضهم إطلاق هذا الاسم على الأنفس، فسموا بها مدنا لهم، ونسبوا إليها جمعيات وكيانات أو منظمات، وفي كل الأحوال يرمزون بذلك لمدى تعلقهم وتشرفهم بالانتساب إلى محمد.

لم يمتلك صاحب اسم قط، خيال من أحبوه وبجّلوه كما حدث لصاحب هذا الاسم، إنهم يحبونه في شغاف قلوبهم، وينزلونه في مأوى الفؤاد لديهم، يوقظ ترديد اسمه الوسنان، فيصلي ويدعو له، وينبه الخطيب الشاردين عن خطبه بذكر اسمه وبطلب الصلاة عليه، ويتخذه الإمام والمرشد والمربي سندا روحيا، وعليه يعول لترسيخ كل القيم الفاضلة،وتجنيب كل الأخلاق الرذيلة، ينتشر اسمه في ألسنة محبيه انتشار النار في الهشيم، يلطف الأجواء العامة والخاصة؛ المدائح والأناشيد والمنظومات التي قيلت في حقه، لا يستكثر الناس فيه أبدا طول حديث أو مدح يقال عنه، وأسعد وقت عندهم لإنفاق الأموال التي في جيوبهم، وأفضلها على الإطلاق، هي تلك

اللحظات التي يمدح فيها محمد.

محمد ولد يتيما، وعاش محروما، ونشأ لطيما، وترعرع متألما، قاس مرارة العيش وشظف الحياة، وكابد الأمرين في صغره وشبابه، لم تناغمه الظروف، ولم تبتسم له الأيام، رعى الأغنام وكان معها وديعا وأمينا، وتاجر مع بني قومه وكان معهم ورعا ومأمونا، لم يتذرع بظروفه الخاصة به، لينقلب على قيم الطهر والنزاهة والعفة والوفاء، باحثا عن متنفس للحاجيات النفسية والاجتماعية التي حرمت منها، ومثاليته بوصفه مواطنا مكيا، أكسبته كل الاحترام والتقدير من مواطنيه، لقبوه بكل الأوصاف الجميلة، وأطلقوا عليه كل الصفات الحميدة، إنه محمد.

زكّى هذا المكي مولدا ونشأة؛ طبائع وسجايا بني جنسه، وأنسن علاقات بعضهم بالبعض في مجتمعاتهم، فحوّل السيد الإقطاعي المتعجرف على عبيده إلى مخلوق وديع طيب خلوق، يتنازل عن رضا وطواعية عن كرسي إمرته؛ لصالح من يعتبرهم من الآن فصاعدا، أخوة له في الأصل والأرومة، يحبهم، ويفديهم، ويقاسمهم ثروته ونفوذه، ويهاجر معهم ليلقى وإياهم نفس المعاناة، وتنمحي بينه وبين من سلف أن كانوا من خدامه والعاملين تحته، كل الفوارق الطبقية والاجتماعية والاقتصادية، وبالأسلوب نفسه، رفع أمينُ مكة قيمة المهمشين والمنبوذين في المجتمع، فأعلى من قدرهم، وأسمى من مكانتهم، ساواهم — شعورا وإحساسا وذاتا — بكرامة أسيادهم وأرباب أعمالهم، فغدوا، وبرغم الإصر والأغلال التي كانوا فيها، رافعي الهامات، شامخي النفوس، أباة ضيم ورذيلة، دعاة خير وفضيلة، إنهم أصحاب محمد.

ولم يماثل جهاده ونضاله لرد الكرامة والعزة والاعتبار للمرء، إلا مساعيه ومواقفه في تحرير العقول من الخرافات، والأوهام، والتبعية، فقد أطلق العنان للتفكير والتدبر والقراءة والتعلم، وجعل مستهلكي أفكار الغير، ومروجي الأساطير الواهية، ومصدقي الترهات والأكاذيب، عقول إنتاج وألباب تغيير، يقودون المجتمعات نحو التحرر من كل قيد، أو عبودية، أو طاغية يريدهم لنفسه، ولو أن وصف أعظم محرر للإنسانية وسام شرف يعلّق على صدر، لكان في صدر محمد.

كل قبسة من حياة هذا البهي مشكاة نور، وكل ومضة نفس في سيرته المباركة شعلة نور، يقتبس الخطباء والمرشدون والمصلحون منها مشاعل إضاءة لإنارة دروب السائرين والمقتفين لآثاره، وكل لحظة من حياته الشريفة، لوحة فنية فائقة الروعة والجمال، يستقطب زوار ومرتادي متحف جماله المحمدي، بتقاطع جمالياتها، وتناسق أجزاءها وإبداعات الأناقة والكمال فيها، ولن يرسم حاذقو الرسم والفنانون التشكيليون لأي شخصية تاريخية، في القديم والمستقبل— طال الزمن أم قصر — لوحة تشكيلية فنية آسرة، تضاهي في الروعة والأناقة، والصفوة والنزاهة، والأصالة والإنسانية تلك اللوحات الخاصة بالجمال المحمدي،

ولئن بحثت ـ بحق - عن ذي قلب رحيم، وخلق كريم، واسى الفقراء والمحرومين، وكافة الطبقات المهمشة في المجتمع، وساند قضاياهم، وتبناهم بالرعاية والعناية، وكان أكبر همه تحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية بين شركاء المجتمع الواحد، أو بحثت عن أكبر مناصر للمظلومين والمستضعفين، وأعظم مدافع عن حقوقهم، ضد طغيان المتكبرين، وتعنت الفاسقين وجبروت الآثمين، بغض النظر عن أي اعتبارات أو حسابات، أو بحثت عن الأب الرحيم، أو الزوج الكريم، أو السيد البار على عبيده، أو الجار المكرم والمحترم لجيرانه، أو القائد الطيب والمحسن حتى على أعداءه، الذين انتصر عليهم في ساحات الحروب، فإنك بلا شك، وبكل موضوعية، ستجد نفسك أمام محمد.

مبغضوه شيطنوه حيا وميتا، وافتروا عليه زروا وبهتانا، تكالبوا عليه، وتآمروا ضده، قذفوه بأقذر الكلمات والألفاظ، وحين قدروا رموه بالأحجار والحصيات، تحاملوا على ذاته، وتجنوا على شخصيته، لم يعهد عنه — حيا - أي محاولة للرد بالمثل، أو المجاراة لأسلوبهم في التعامل، غض طرفه عنهم وصبر، وحلم عن سفيههم وجاهلهم، وعفى وسامح عن حليمهم وعاقلهم، وحين واتته الظروف، ومكنته الأقدار من الانتقام والثأر عليهم، لم تسمح له نفسه الكبيرة، ولم تطاوعه أخلاقه العظيمة على الاقتصاص منهم، إنه محمد.

لا يستعذب المصلون نداء الصلوات، إلا إذا اقترنت الدعوة إليها باسمه، يذكرهم هذا النداء بحياة إنسان أقام بين وهاد مكة وهاماتها، في تلك البيئة القاحلة الجرداء، حيث لا ماء ولا نبات، وحيث قلوب أهلها تشبه في قسوتها وخشونتها تلك الجبال الوعرة المحيطة بهم، وحيث استحكمت في نفوسهم قيم الصلابة والفظاظة، فإذا بصاحب هذا الاسم الوسيم،

والأصل الكريم ينبري في أوساطهم، يعيد الحياة لما مات في قلوبهم، ويبدل برقته ورأفته ورحمته وبره، الشنائع والقبائح التي كانوا عليها، يزكيهم بتخلية نفوسهم من آفات الأخلاق السيئة، ويحليهم درر الأخلاق الكريمة، التي يتربع عليها، إنه محمد.

وأصحاب الفكر من كتاب ومحدثين ومفسرين ومؤرخين، بل وفلاسفة وحكماء من أهل القلم والحكم، جالوا وصالوا في ميادين الكتابة والتدوين والتأليف والتحليل، ينقبون في مناجم الجمال المحمدي عن معادنه، ويكشفون الدرر واللآلئ، عن خبايا ومصونات صاحب الروضة البهية في أرض طيبة المحروسة، فعادوا، وقد تكسرت أسنة أقلامهم، ونفدت مداد حبرهم، وما بلغوا معشار ما أرادوا تجليته وإبرازه من كنه شخصية محمد، ولو أن شخصية تستنفد أغراضها؛ بالدراسة والكتابة والبحث فيها، لكان فيما كتب عنها على مر التاريخ كفاية للراغب، والمستزيد، ولكن أنى ذلك؟ فالشخصية محمدية، وكل ما قيل عنها قديما وحديثا، ليس إلا قطرة من محيط عالم محمد.

وأهل الصفوة والعرفان بالله يرمزون إلى هذه الشخصية بأسماء وصفات وكنى كثيرة، إنهم من شدة إجلالهم لذاته، وتعلق قلوبهم بأنوار بهاءه يعجزون عن إطلاق اسم يلخص هذا الجمال، وهذا البهاء المحمدي، هالتهم أنواره، وأشعته، وغمرت قلوبهم فيوضات العطاءات الربانية المشرقة على هذه الشخصية، فإذا في مؤلفاتهم، وتقريراتهم يطلقون عليها آلاف الأوصاف والكنى، وكلما كان نوع العلاقة والقرب القائم بين الولي وبين وصاحب التسمية متنوعا، كلما كان عدد الأسامي والأوصاف مختلفا ومتنوعا.

محمد في عرف الربانيين؛ هو أكبر من شخصية تاريخية، ظهرت للوجود في فترة ما ثم اختفت، إنه حقيقة سرمدية خالدة، وتجسيد مادي في حياته، ومعنوي بعد وفاته لرحمة ربانية على العالمين، لم يقتصر جدوى وجوده على سكان البرية وحدهم، إنه رمز للإنسان الكامل الفاضل السعيد، الذي يصلح تقديمه مفتاحا وخلاصا أبديا للبشرية جمعاء، إنه نموذج الفرد المثالي، الذي يُدفَعُ الآخرون للاحتذاء والاقتداء به رغبة في بلوغ مقامه وقدره وإنسانيته، وهيئات!

إن ارتباط أولئك العرفانيين وتعلقهم بصاحب هذه التسمية روحي وجداني ومعنوي، فاقوا في هذا الميدان من ليسوا مثلهم، لم تقف حواجز الزمان والمكان عائلا في طريق صعودهم للارتقاء والالتقاء بصاحب المواهب اللدنية، تعلو وصفهم له على فهوم العوام، لا يدرك شأوهم في ابتكار المعاني، واقتراح الصور التعبيرية لعواطفهم وخوالج نفوسهم أحد، يغترفون من بحور الحب المحمدي كاسات خمر، ودنان راح، ينتشون بمعاقرتها، ويسكرون بشربها، تنفتح على إثرها قواميس اللغة بصفحاتها وسجلاتها أمام أعينهم، وتنقاد لألسنتهم بحور الشعر قاطبة يركبونها هينة مطواعة للبوح بعشق محمد.

ومنذ ما يربو على أربعة عشر قرنا من الزمن، لم تتوقف سيول المدح والانبهار، ولا الروافد المتدفقة من الإطراء والإشادة، ولم تنضب ـ كذلك - أو تغيض قرائح الشعراء والراجزين، السابكين الناظمين لروائع القصائد والنظم والأبيات، تتنافس فيما بينها رونقا وبهاء،وتتبارى بينها جودة وجمالا، تتغنى وتعظم، وتعطي الاعتبار لهذه الشخصية الفريدة، ولم يتأت لأي أحد، منهم أن ينهي فنون الكلام وأساليب القول، أو يسلب من يأتون بعده متعة القريض والنظم في ذاته صلى الله عليه وسلم.

ويدهشك — كما ونوعا — الشعر الوجداني الغنائي، المعبر عنه في حق هذا المحبوب، إنه شعر صادق الشعور إحساسا وعاطفة، متباين الأشكال وزنا وقافية، وثري المعاني تصويرا وتمثيلا، ومتنوع اللغة سهولة وجزالة، وما بين خاطرة تولد بيتا أو بيتين، مارا بقصيدة تقصر أو تطول، إلى معلقة تحمل في طياتها عديد الموضوعات، إلى ديوان شعر أفنى ناظمه العمر كله في سبكه ونسجه على أحسن كيفية وأروع صورة، تجد الشعراء يدلون بدلاءهم، وقد توافقوا على أن أحسن الشعر وأجمل المديح هو ما قيل في حق محمد.

إن قدره ليس يعلم، ومقداره العظيم عصيّ على أمثالي فهمه، ومن ركبه الغرور، وتجاوز قدره، محاولا توصيف شخصيته العظيمة، واستجلاء كنه ذاته المحمدية، لم يفعل أكثر من أن يفسر الماء بالماء، فشفعنا يا رب فيه بصلاة، تعرفنا به، وتناسب قدره ومقداره العظيم.

سمب أم جو

Le coran manuscrit de Serigne Samba Diagne,

certifié par l'Institut Al Azhar d'Egypte,

célébré par l'Université Gaston Berger de Saint-Louis

dans le cadre d'un symposium international.

L'Université Gaston Berger de Saint-Louis a organisé le samedi 22 juin 2019 un symposium international sur le « coran manuscrit » de Serigne Samba Diagne, grand érudit de l'islam, installé à Saint-Louis, sur les terres de Sanar.

Depuis plus de 40 ans, sous la tutelle spirituelle de Serigne Abdoul Aziz Sy Al Amine et Serigne Maodo Malick Touré (qu'Allah soit satisfait d'eux), Serigne Samba Diagne s'est engagé dans un vaste chantier de vulgarisation des écrits des grands savants et hommes de Dieu du Sénégal[1], d'éducation et de formation religieuse et spirituelle des jeunes et adultes du pays à travers l'association pour l'éducation, la formation et l'orientation islamique dénommée « Diamhiyatou Tahzibi Wal Irchaad Al Islamiya »[2]

Sur demande insistante de certaines autorités religieuses[3], Cheikh Samba s'est lancé, au début des années 2000, dans un projet de « réécriture » du saint Coran avec sa propre calligraphie. Par la grâce de Dieu, le projet fut entamé et bouclé à Médine devant le mausolée du Prophète Seydina Mouhammed (Psl).

Après quatre années d'examen international (2014-2018) à l'Institut Al Azhar d'Egypte par une

1) Sur demande des familles concernées, Cheikh Samba a repris avec sa calligraphie certaines œuvres majeures de grands savants et hommes de Dieu tels que Cheikh Seydil Hadji Malick Sy, Cheikh Ahmadou Bamba Mbacké, Serigne Abass Sall, Mourchid Ahmeth Iyane Sy, El Hadj Abdoulaye Sow (qu'Allah soit satisfait d'eux).

2)La Diamhiyatou Tahzibi wal Ir Chaad al islamiya compte à son actif 108 daaras pour 12.352 talibés dont 6268 garçons et 6084 filles. Ces daaras sont tenus par 215 Maîtres Coraniques formés, employés et rémunérés par la Diamhiya.

3) Thierno Ousseynou Barro de Boghé, Serigne Maodo Malick Touré et Serigne Mouhamadou Mahfouz Mbacké ont chacun demandé avec insistance à Cheikh Samba de réécrire le livre saint. En effet, au-delà de sa maîtrise des sciences islamiques, Cheikh Samba est doté par la grâce divine d'une calligraphie exceptionnellement belle.

commission composée d'experts provenant de plusieurs disciplines du savoir islamique, le « Coran manuscrit » de Serigne Samba DIAGNE a reçu une consécration internationale, l'inscrivant ainsi parmi les écritures validées et certifiées du saint Coran (autorisation n°38 du 12/08/2018). Cette reconnaissance internationale consacre la portée universelle de ce « manuscrit du Coran » écrit dans la version Warch avec une calligraphie afro-maghrébine.

C'est dans ce contexte qu'un groupe d'universitaires de l'UGB a décidé d'organiser ce symposium international dont l'objectif principal était de présenter à la communauté musulmane nationale et internationale, le « Coran manuscrit » de Serigne Samba en dégageant à la fois les conditions de sa vulgarisation et de son adoption, mais saisir en même temps l'occasion pour rendre un vibrant hommage à son auteur, qui a honoré le Sénégal, le continent africain et toute la Ummah Islamique.

Cette manifestation hautement scientifique et culturelle s'inscrit dans la troisième mission de l'université qui est le développement de « services à la communauté », qui positionne de fait l'Université Gaston Berger de Saint-Louis comme partie prenante du mouvement de valorisation des savoirs endogènes produits par les intellectuels arabophones sénégalais.

De nombreuses autorités académiques, religieuses et politiques parmi lesquelles le Ministre Mouhamadou Makhtar CISSE[4], les représentants des grandes familles religieuses du Sénégal et une forte délégation de l'Université Al Azhar d'Egypte conduite par le Docteur Cheikh Abdoul Karim[5], ont fait le déplacement pour rendre hommage à Cheikh Samba Diagne qui fait la fierté de l'homme noir africain.

La cérémonie officielle d'ouverture, empreinte d'émotion et de solennité, s'est déroulée en présence du représentant du Chef de l'Etat, le Gouverneur de la région de Saint-Louis Monsieur Alioune Aïdara Niang, du Recteur de l'UGB, le Professeur Ousmane Thiaré, du Maire de la commune de Gandon, le Ministre Khoudia Mbaye, du représentant de Cheikh Al Azhar, et d'autres personnalités qui ont tous prononcé un discours ou porté un témoignage à l'endroit de Cheikh Samba.

Dans son allocution, Dr Abdoul Karim est largement revenu sur les normes et modalités d'examen et de validation du Coran en insistant sur la valeur et la portée universelle du manuscrit de Serigne Samba DIAGNE qui est une grande première au niveau du continent noir africain. Il a clôturé son discours en affirmant de manière péremptoire que la Oummah islamique pouvait désormais retenir que « le Coran fut descendu à la Mecque », « Il est lu et récité en Egypte (Misrah) » mais « réécrit et calligraphié au Sénégal » et ceci grâce à Cheikh Samba Diagne.

A sa suite, le témoignage émouvant de Serigne Babacar dit Mbaye Lo[6] sur les relations spirituelles très étroites qu'entretenaient Serigne Abdoul Aziz Sy

4) Mouhamadou Makhtar Cissé est le ministre du pétrole et des

AL- Azhar
Islamic Research Academy
General Department
Research, Writing & Translation

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
(إدارة المصاحف)

تصريح بتداول مصحف

رقم (٣٧) الصادر في ١٢ / ٨ / ٢٠١٨م.

Al Amine (rta) et Serigne Samba Diagne, a marqué toute l'assistance.

La table ronde, deuxième partie du programme de la journée, fut introduite par l'Imam Râtib de la grande mosquée de Saint-Louis El Hadj Cheikh Ahmeth Tidiane Diallo. Il a mis l'accent sur la valeur ajoutée réelle que représente le coran manuscrit de Serigne Samba et magnifié sa contribution inestimable au rayonnement de la civilisation islamique.

Oustaze Alioune Niang, Maître Coranique en Mauritanie a retracé le parcours élogieux de Cheikh Samba Diagne en mettant l'accent sur les deux dimensions du Cheikh que sont le Guide et le Pédagogue. Sa communication a permis de revisiter le système d'enseignement-apprentissage du coran et le modèle d'éducation islamique mis en place par Serigne Diagne à travers la Diamhiyatou Tahzibi wal Ir chaad et qui permet à des centaines de jeunes garçons et filles de 10 à 12 ans de mémoriser le saint coran à bas et dans des délais relativement très courts[7]. Ce parcours ainsi que les réalisations de Cheikh Samba sont illustrés dans une exposition physique sur l'esplanade de l'auditorium.

Le Professeur Cheikh Tidiane Fall de l'UGB a clôturé la série des communications en rappelant l'historique des manuscrits religieux dans la ville de Saint-Louis. Le coran manuscrit de Serigne Samba Diagne vient compléter la liste des manuscrits des érudits saint-Louisines et enrichir le patrimoine immatériel de la vielle ville.

Les chefs de délégation des familles religieuses présentes ont tous porté des témoignages émouvants qui ont fait ressortir différentes facettes cachées de la vie de Serigne Samba qui s'est vu décerné un diplôme d'honneur de l'UGB en reconnaissance des services rendus à l'islam en général et à la communauté éducative en particulier.

La cérémonie a été clôturé par une projection de film documentaire sur le parcours professionnel et personnel de Serigne Samba Diagne ponctué par des témoignages de proches compagnons dans la Diamhiya et d'érudits et hommes de Dieu contemporains à Cheikh Samba qui a offert à titre symbolique des exemplaires certifiés du manuscrit au Gouverneur de la Région, au Maire de la Commune de Gandon et au Recteur de l'UGB.

7) Le délai de mémorisation du coran dure entre 3 et 5 ans. L'apprentissage repose sur une méthode pédagogique appelée « Ndiangoum Goumba » qui consiste à bien former des Maîtres coraniques qui récitent et font répéter aux enfants les versets du coran dans la version warch en respectant les règles de lecture appelées « Ahkamou Tadjwid ». A cet âge, les enfants qui ont à peine une capacité de discernement, mémorisent facilement les deux tiers du saint coran. Le dernier tier est appris en lisant le livre saint à la suite d'une alphabétisation qui ne dépasse pas un mois. Cette approche pédagogique, à bien des égards rappelle la méthode avec laquelle le Prophète Mouhammed (Psl) a reçu le message d'Allah (SWT) par l'Ange Djibril. « Pédagogie de Seydina Djril Alaïhi salam ».

SYMPOSIUM INTERNATIONAL
SUR
Le CORAN MANUSCRIT
de SERIGNE SAMBA DIAGNE
AUDITORIUM UNIVERSITÉ GASTON BERGER
LE SAMEDI 22 JUIN 2019
EXPOSITION SUR LA PENSÉE ET L'ŒUVRE DE SERIGNE SAMBA DIAGNE;
CONFÉRENCE INAUGURALE SUR LE PARCOURS ET LA PORTÉE DU « CORAN »
MANUSCRIT PAR SERIGNE SAMBA DIAGNE;
TÉMOIGNAGES ET PROJECTION D'UN FILM DOCUMENTAIRE;
SYSTÉMATISATION DES CONCLUSIONS ET D'UN PLAN D'ACTIONS.